

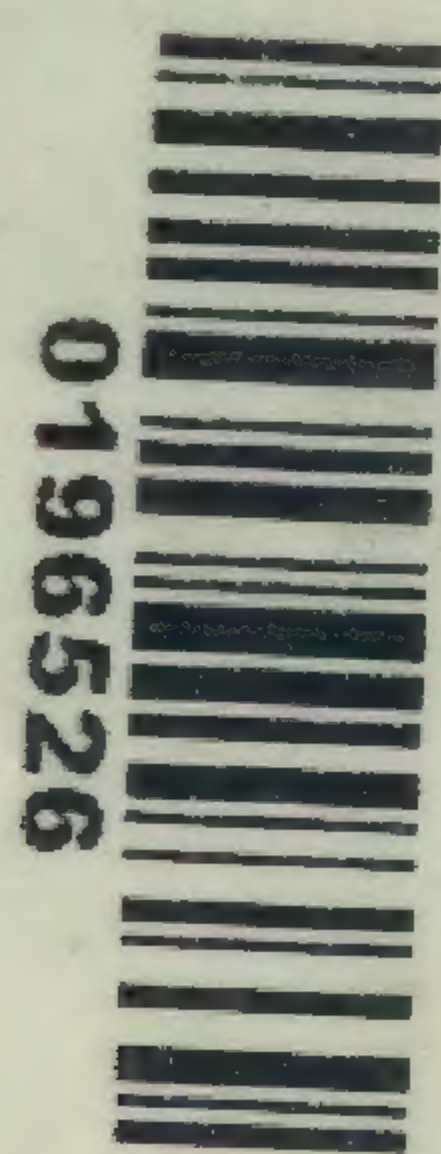
الكتاب ١٢١

كتب فومية

نورة الوعيد العزبي

بمقام
عودة بظرس عودة

عدد خاص الثمن ٤ قروش



0196526

Bibliotheca Alexandrina

الأستاذ الكبير
محمد العزيز مرعي
مدرس قسم اللغة العربية
بجامعة الإسكندرية

كتاب فومبة

الكتاب ١٢١

نُورَةُ الْوَحِيدِ الْعَرَبِي

بِقِطْم
عودة بنظر عوده

في النطاق العربي

لم يتعرض الوجود العربي منذ الحملات الصليبية قبل ٩٠٠ عام الى مثل الخطر الذي يتعرض له منذ عام ١٩٤٨ عندما نجح الاستعمار والصهيونية العالمية في اغتصاب فلسطين واقامة قاعدة لهما على جزء من ارضها العربية تصلح وفق مخططهما لان تكون مركزا للاحتشاد المادي والبشري ثم الانطلاق والزحف يقواهما لتحقيق شعار الصهيونية العالمية « من الفرات الى النيل، حدودك يا اسرائيل » المنقوش على لوحة كبيرة مثبتة على مدخل الكنيسيت، ذلك لان اقامة هذه القاعدة العدوانية لا يعنى فقط اغتصاب جزء من الارض العربية ، او قيام دولة غازية معتدية في الوطن العربي، او تشريد شعب فلسطين العربي ، انما يعنى ان خطة استعمارية صهيونية بعيدة المدى تستهدف السيطرة على الوطن العربي والقضاء على الوجود العربي بدأت تأخذ طريقها الى التنفيذ العملي بعد تمهيد استغرق واحدا واربعين عاما اذا اعتبرنا وعد بلفور عام ١٩١٧ ، وهو اول نصر حققته الصهيونية العالمية بعد المؤتمر الذي نادى اليه وتزعمه نبي الصهيونية هرتزل عام ١٨٩٧ ، بداية التآمر الاستعماري على العرب .

كان المعنى الحقيقي لقيام هذه القاعدة العدوانية ان العرب ، كل العرب ، بدأوا يواجهون تحديا خطيرا ، ويتعرضون الى مؤامرة كبرى يحشد الاستعمار والصهيونية العالمية كل ما يملكان من امكانيات مادية وبشرية ، او عناصر خيانة وعميلة ، لتنفيذها وتحقيق اهدافها ، البعيدة منها والقريبة .

بعض هذه الاهداف ان تكون حاجزا يثريا يفصل بين عرب اسيا وعرب افريقيا ، ومخلبا يحركه الاستعمار لالهاء الشعوب العربية عن اهدافها ومطالبها القومية ، واداة قادرة على استنزاف الامكانيات والطاقات العربية ، وقلعة تنطلق منها موجات العدوان تدق الحدود ، وتهدد الوجود ، وتقوض الاستقرار ، وتعرض على العرب صرف مواردهم للدرء الاخطار فلا يقربون على الاستفادة

منها في اصلاح مجتمعهم ، فيبقى مجتمعا مفكك الاوصال، يسوده الجهل وتتحكم فيه الاقلية العميلة ، وتستبد به عناصر الخيانة والانتهاز ، فتتحقق للاستعمار بذلك امكانية السيطرة أو ابقاء هذه السيطرة على العالم العربي ، وابقاء هذا العالم بموارده واستراتيجيته خاضعا للنفوذ الاجنبى .

لقد احس الاستعمار منذ الحرب العالمية الاولى بخطورة اليقظة العربية فبادر الى محاربة هذه اليقظة بتجزئة الوطن العربى وتفتيت الامة العربية وخلق طبقات حاكمة ترتبط به مصيرا ووجودا .

أراد من هذه التجزئة خلق مشاكل اقليمية كمشكلة الاحتلال او الاستقلال أو التحرر أو الحريات العامة تصرف الشعب العربى عن الوحدة العربية أو الاهداف القومية .

وأراد من خلق طبقات الحكام العملاء ايجاد تناقض بين هؤلاء الحكام وبين شعوبهم لحصر النضال العربى على المستوى الاقليمى من جهة ، وجعل هذه الطبقات مرتمية فى أحضانه ، تعتمد فى وجودها على وجوده ، فتبقى أداة تحقق أغراضه من جهة أخرى .

ومع أن العالم العربى الواحد الممتد من المحيط الاطلنطى الى الخليج العربى أصبح بفعل التآمر الاستعمارى مجموعة من الدويلات الضعيفة بضعف وخيانة حكوماتها ورؤسائها ، الا أن اليقظة العربية استمرت فى النمو والازدياد ، وكان معنى ذلك أن الافراض البعيدة التى من أجلها كانت التجزئة ، بدأت تتحطم على الوعى القومى وشعارات الوحدة الشاملة والتحرر الكامل التى بدأت ترتفع فى كل بلد عربى وكل جزء من الاجزاء التى أوجدها الاستعمار فى عالمنا .

واندفع الاستعمار يسابق الوعى العربى ، ويسابق الزمن معا، فقد أصبح الوعى القومى العربى يهدد مصالح الاستعمار ووجوده فى المنطقة العربية ، وأصبح الزمن عاملا هاما من عوامل هذا الوعى ، وكان الهدف الكبير الذى سعى اليه الاستعمار بكل مؤامراته وامكانياته وعملائه وأمواله هو وضع العراقيل والعقبات الكبرى فى طريق الوحدة العربية كرد منه على الوعى القومى العربى الذى بعث فى الامة العربية شعورها القومى ، وكشف لها عن الاطماع الاستعمارية فيها والاساليب الااخلاقية التى يتبعها

معها لتبقى مجزأة ضعيفة فقيرة تعتمد في وجودها وحياتها على مساعداته .

وكانت إسرائيل هي ثمرة اندفاعه المسعور ، أوجدها بالتآمر والخيانة في قلب الوطن العربي لتكون حاجزا يمنع الوحدة العربية وقاعدة تهدد الوجود العربي . . وجسرا تعبر عنه الصهيونية العالمية بكل ما تملك من إمكانيات وأحقاد ووحشية لغزو العالم العربي ، وتحقيق دولة صهيون على أنقاض الأمة العربية والتراث العربي والوجود العربي .

من أجل هذا ، مبداه الاستعمار بأسباب الحياة والوجود ، منحها التأييد المادي والمعنوي ، وأعطاهما السلاح والمال والخبراء العسكريين ، وسخر الملوك والحكام العرب لخدمتها ، وبفضل ذلك كله نجحت الصهيونية العالمية في اغتصاب قسم كبير من فلسطين العربية وفي تشريد مليون من شعبها وفي الوصول إلى أيلات على خليج العقبة لتؤكد الفصل بين عرب إفريقيا وعرب آسيا .

بعدئذ انصرفت جهود الاستعمار والصهيونية العالمية إلى تثبيت الوجود الصهيوني وجعله وجودا شرعيا . كان لابد لذلك من اعتراف العرب ، بعضهم على الأقل ، بهذه الدولة الغاشية الغاصبة . فبدلت الجهود وتركزت هذه الجهود على الملك عبد الله والهاشميين لكونهم أكبر الثغرات التي يمكن للاستعمار أن ينفذ منها للتآمر على سلامة العرب ، وكاد الصلح أن يتم بين الملك الهاشمي عبد الله وبين الغزاة الغاصبين لولا الإرادة العربية التي تفجرت في صيف عام ١٩٥١ في مدينة القدس لمنع تنفيذ المؤامرة

بذلك ضاعت من الاستعمار والصهيونية العالمية فرصة العمر ، لأن الواقع العربي كله بدأ بعد ذلك العام يتغير تغيرا ثوريا ، ثم لأن الوعي القومي أخذ يكشف حقيقة الملوك والحكام ، كذلك لأن الإرادة العربية استيقظت على التحدي التاريخي الذي يهددها ، ولم يعد الواقع العربي ، رغم بقائه مجزءا مفككا ، يسباعد على تحقيق أمل الصهيونية والاستعمار ، بل أن هذا الأمل أصبح بعد عام ١٩٥٢ حطما وأمنية وإحدا من المستحيلات .

.. وعام ١٩٥٢ هو الحد الفاصل في تاريخ العرب الحديث ، فهو

البداية لبعثهم وقوتهم ، والنهاية لضعفهم وتخاذلهم . . بل ان يوما واحدا من ذلك العام قبل تسع سنوات هو الخيط الرفيع بين عهد المذلة والاستسلام وعهد الكرامة والاعتزاز .

كان العرب حتى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ يجتثرون الهزيمة ويتلقون الصفعات ، وتنهال عليهم ضربات الصهيونية والاستعمار ، وتتصدع حدودهم من اعتداءات الغزاة وهم لا يملكون غير الاحتجاجات يبرقونها الى مجلس الامن الدولي ، وغير الصرخات الدلييلة ، صرخات الضعيف الذي لا حول له ولا قوة ، وانك المريض الذي لا يقوى على النطق ، يطلقونها محمولة ، وكانت اسرائيل فى الارض المحتلة تبني القوة وتحشد فتيان الصهيونية استعدادا لجسولة ثانية ، وكانت اجهزتها ، اجهزة الاستعمار والصهيونية ، تفخر باقتصاراتها على الجيوش العربية السبع ، وتحدث عن الواحة الباسمة فى الصحراء العربية ، وتمسخ العرب مسخا دون ان يرتفع للعرب صوت يردون به سهما من سهام العدو السامة . . وكان بن غوريون السفاح ، الذى شرب حتى الثمالة من دم اطفال ونساء عرب فلسطين دون ان يرتوى ، يزهو ويتيه فخرا بما حققه شعب الله المختار من انتصارات فى ارض الميعاد ، ويهدد بعنجهية ويتهدد بوقاحة ، الثمانين مليون عربى بقرض الصلح عليهم بقوة السلاح ، والثمانون مليونا يتفجرون من الغيظ ويحسون بالاطار تلفهم ويسعون وراء سلاح يدافعون به عن كرامة امتهم ووجودها وعن زعيم يقودهم فى معركة الحياة ويبعث فى نفوسهم الثقة ، وحكامهم يلهون بالمفاسد ويرتعون بالخيانة . . وكانت الارادة العربية تتلمس الاخطار وتحس بها ، وكانت ترى فى كل ما حملة عام ١٩٤٨ من استهتار المسئولين العملاء بمعنى الوجود الصهيونى فى الوطن العربى تحديا تاريخيا لم يسبق ان واجهت مثيلا له منذ ٩٠٠ عام . وكانت من خلال ما تتلمس من اخطار ، وما ترى من تواطؤ وخيانات واستهتار ، وما تواجه من تحد ، تتحفز لعمل ثورى يجعلها قادرة على مواجهة العدوان والارتقاء بالمعركة الى مستواها المصرى والحياتى .

هكذا كان حال العرب حتى الساعات الاولى من يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، ثم تفجرت الثورة لتواجه التحدى وتؤكد الوجود العربى وتقدم للامة العربية الزعيم الذى تبحث عنه . . وفى لحظات

قليلة لم يكن احد في الدنيا يعلم وقتئذ قيمتها وخطورتها ، تهاوى عهد شربم العرب منه كؤوس المذلة والمرارة ، وبدأ عهد اقام للعرب صروح المجد والقوة .

لم تكن الثورة التى تفجرت فى القاهرة قبل تسع سنوات ثورة اقليمية ينحصر خيرها فى مصر وحدها، انما كانت ثورة الامة العربية كلها ، خيرها للعرب كلهم . . . ومن هنا، من كونها ثورة عربية، لقيت من الاستعمار والصهيونية العالمية ، ومن جميع القوى الطامعة فى وطننا العربى ، ومن كافة العملاء والانتهازيين ، مقاومة لم تلق فى شسدتها وعنفتها ثورة عرفها العالم فى عهد الحديث . . ثم لكونها عربية التفت حولها وحول قائدها الجماهير العربية التفافها حول مبادئها واخلاقها واهدافها ، وانطلق تيارها الثورى التحررى ، تيار القومية العربية ، يوقظ الامة العربية على واقعها الفاسد وحكامها العملاء واستقلالها الزائف وتجزئتها المصطنعة وخيراتها المنهوية واوطانها المسلوبة والاحطار التى تهدد وجودها والمؤامرات التى تدبر فى الخفاء ضدها والاطماع الاستعمارية والصهيونية فيها.

لقد سعى الاستعمار ويذل كل الجهد فى سعيه لتحويل الثورة الى انقلاب ، كما فعل بثورة العراق .

فيكون الجديد الذى يحدث هو تغير فى الوجوه السياسية ، واستمرار فى السياسة الخارجية ، وابقاء على الواقع الفاسد ، ولكن المساعى والجهود الاستعمارية تحطمت على صخرة عبد الناصر قائد الثورة ورمزها الكبير ، فلم تنحرف الثورة عن خط سيرها المحدد ، انطلقت تهدم الواقع الفاسد الذى يمثل رواسب آلاف السنين ، وتقلع جذور الاستعمار وعملائه ، وتمزق الوردية الخادعة التى يتبرقع بها الانتهازيون ، وتضع حدا نهائيا لمفاسد الحزبية ومهاتراتها ، وتستعيد من الاقطاعيين حقوق الفلاحين ، ومن الغاصبين حقوق المواطنين ، فى الوقت ذاته ، عندما كانت يد تضرب بالفأس لتهدم ، كانت يد اخرى تحمل الطوب لتبنى مجتمعا جديدا تسوده العدالة وترفرف عليه الطمانينة وتحقق فيه المساواة لكل مواطن والقوة للامة العربية كلها .

عندئذ ، عندما عجز الاستعمار عن تحويل الثورة الى انقلاب، وعن تحويل أبطال الثورة الى رجال حكم محترفين يستهويهم

كرسى الحكم وتخفيفهم مشقة الهدم الكبير والبناء الأكبر ، ووجد نفسه عاجزا عن حماية مصالحه واحتكاراته وامتيازاته وكل ماسلبه ، ثم رأى قلعة من القلاع التي يحتوى بها ويتخذها درعا وموردا له تتحرر من قبضته ، عمد الى بذل كل امكانياته لحصر هذه الثورة ضمن حدود مصر مدفوعا الى ذلك لحماية اسرائيل ولابعاد روح الثورة عن البلاد العربية لتبقى خاضعة لنفوذه وتبقى خيراتها مصدرا لرفاهية أبنائه وموردا يعينه على تشديد قبضته القلعة على الامة العربية .

وفي سبيل ذلك ، من أجل حصر الثورة ، عمد الى اسرائيل يحركها ضد مصر وعمد الى الحكام العملاء يجمع شملهم ويحصر جهودهم ضد عبدالناصر ، واحاط الثورة بسياسات كتيبة من الدعاية والاذاعات السرية ، وحشد كل امكانياته لمحاربة هذا التيار الذى أخله ينتشر ويشمل كل جزء من أجزاء الوطن العربى الكبير . . ولما لم ينفع ذلك كله ، لجأ الى الحرب الاقتصادية ثم الى السلاح . فى فبراير سنة ١٩٥٥ تحركت اسرائيل لتضرب بمفاجأة المدنيين فى قطاع غزة وتهدد حدود مصر . . كان القصد من ذلك ، هو الهاء الثورة ، واعاقة سيرها ، واستنزاف الموارد فى درء الأخطار الصهيونية ، وخلق حالة من عدم الاستقرار تصرف الرمز الكبير الذى تتجمع حوله الجماهير العربية عن الاهتمام بممارك التحرر التى يخوضها الشعب العربى فى كافة الاقطار والاجزاء ، وبذلك يقل خطر الثورة ومفعولها وينحصر تيارها الجارف ضمن الحدود الاقليمية ريثما تحين فرصة الانقضاض عليها ، وتبقى البلاد العربية فى منأى من الالهيى الذى بدأ حره يلهب الحكام العملاء فيخيفهم ويقتل من حماسهم فى خدمة الاستعمار والصهيونية .

ولكن الذى حدث كان على عكس ما خطط الاستعمار ، فقد كان لتحركات اسرائيل العدوانية وتحرشها بمصر الثورة تأكيدا لخطرها وخطر وجودها ليس على الثورة أو أية ثورة عربية فحسب ، بل على الوجود العربى كله ، لان مثل هذا التحرك العدائى كشف القناع عن نوايا الاستعمار والصهيونية فاذا بها نوايا اجرامية طامعة فى السيطرة على العالم العربى كله .

بالاضافة الى ذلك كانت هذه الاعتداءات تحديا مباشرا وصريحا لعبد الناصر أمل العرب الكبير الذى يرفع راية القومية العربية

والنضال العربى بقصد التقليل من نفوذه وقيمته المادية والمعنوية للجماهير العربية التى غدت تؤمن به رائدا وقائدا ، وبثورته ثورة الامة العربية كلها ، وواجه عبد الناصر هذا التحدى وهذه الاعتداءات بروح الثورة وعقليتها فخاض مع الاستعمار والصهيوية العالمية معركة ترتبت عليها آثار ونتائج قومية فى المستوى العربى ، وعالمية فى المستوى الدولى .

كانت هذه المعركة ، احتكار السلاح . . وكان هذا النوع من الاحتكار أحد المقومات الكبرى التى يعتمد عليها الاستعمار فى تثبيت وجوده . كان يمنع ، عن طريق الحكام العملاء حينما وبنفوذه حينما آخر ، البلاد التى تخضع لنفوذه ، وكانت البلاد العربية كلها وقتئذ خاضعة لنفوذه ، من شراء السلاح الا منه ومن مصبائعه وبموافقته ، وكان قادرا وقتئذ على تحديد كمية ونوع السلاح المراد شراؤه ، وبذلك تمكن من جعل تسليح الجيوش العربية مجتمعة لا تزيد عن تسليح جيش اسرائيل منفردا ، أى ان القيمة الحربية للسلاح التى كانت تملكه الجيوش العربية حتى عام ١٩٥٥ لم تكن أجود ولا أكثر من قيمة السلاح الذى يملكه جيش الغزاة الصهيونى فى فلسطين المحتلة . . وكانت سياسة الاستعمار تهدف الى خلق توازن فى القوى بين العرب وبين اسرائيل ، وكان الاستعمار قادرا كل المقدرة على خلق مثل هذا التوازن لانه كان وحده الذى يملك حق تسليح الجيوش العربية وجيش اسرائيل ، وبهذا التوازن فى التسليح كان الاستعمار يحقق الكثير من الأغراض ، أهمها ابقاء اسرائيل أقوى من أية دولة عربية منفردة وبذلك وبحكم التناقض الذى يخلقه الاستعمار فى بعض المجالات بين الحكام العملاء ثم بحسبكم استجابة اتفاق الحكام العملاء على خوض معركة حاسمة مع اسرائيل ، تبقى اسرائيل مغلبا يحركه الاستعمار للالهاء حينما واستنزاف الموارد حينما آخر وتقويض الاستقرار حينما ثالثا دون أن تقوى دولة عربية واحدة ، الرد على اعتداءات اسرائيل بقوة الاعتداءات على الأقل . . . ناهيك عن ان اسرائيل تبقى عن طريق الدول المصدرة للسلاح . . . وهى دول حليفة لها ووصية عليها وعلى مهامها العدائية واطماعها ، على معرفة حقيقية بقيمة ونوع السلاح الذى يملكه كل جيش من الجيوش العربية ، وبذلك تعرف اسرائيل مقننات ما تحتاج اليه الجولة الثانية من امكانيات عسكرية تكفل لها مقدرة

القفز وابتلاع جزء جديد من الارض العربية .
ولقد أدرك عبد الناصر التأثير خطيرة البقاء تحت رحمة محتكرى
السلاح ، وهم دول الغرب ، وجميعها دول استعمارية ، على
ثورته العربية وعلى الوجود العربى كله ، فبادر الى خوض هذه
المعركة التى ترتبت عليها آثار ونتائج ليست فى مصلحة الوجود
العربى فحسب بل وفى مصلحة الشعوب الافريقية والاسيوية ايضا
سعى عبد الناصر وهو يواجه التحدى التاريخى وراء السلاح
يحمى به الثورة المباركة ويدافع به عن الوجود العربى الذى يهدده
خطر الصهيونية العالمية .. اتجه الى دول الغرب ، الى محتكرى
السلاح ، يعرض عليهم شراء السلاح منهم بمال يدفعه نقدا
وبالعملة الصعبة ، ولكنهم رفضوا بيعه ، اوصدوا الابواب فى
وجهه لتبقى الثورة التى تدق معاقل الاستعمار فى الوطن العربى
بدون سلاح وبدون جيش قوى يحميها ، وكان الرفض بداية
المعركة الكبرى الحاسمة ليس فى تاريخ عالمنا العربى فحسب ،
بل فى تاريخ الشعوب حديثة الاستقلال المناضلة من أجل تحريرها
وسيادتها واستكمال استقلالها أو ممارستها لاستقلالها ممارسة
فعلية أكيدة .

وبعد شهور قليلة حسمت المعركة .. فقد حطم عبد الناصر
احتكار السلاح .. حصل على السلاح الثقيل الذى يحتاج اليه
فى معركة المصير والوجود من الاتحاد السوفياتى والكتلة الشرقية
وبذلك فتح عبد الناصر عهدا جديدا فى تاريخ تحرير الشعوب ،
بعد هذا النصر الكبير الذى فوجئ به الغرب أيما مفاجأة ،
استحال على الغرب ، كل دولة ، سد الثغرة الكبيرة التى فتحتها
القنائد العربى فى صفوفه .

وارتعدت فرائص الصهيونية ، وكان لها أن ترتعد ، من هذا
الذى حققه عبد الناصر ، لأنه قلب موازين القوى فى المنطقة
العربية وغدت الأمة العربية بما يملكه جيش الثورة العربية فى
مصر ، تملك اسباب القوة والمنعة والمقدرة على درء الاخطار وحماية
الانتصارات والحدود ومجابهة الاعتداءات الصهيونية بضربات
مذهلة حملت بن غوريون الذى كان يزهو ويفخر بقوة جيش شعب
الله المختار على الصراخ والاستغاثة وطلب المزيد من ملايين الدولارات
وانواع الأسلحة الثقيلة ... ثم اختفت الاحتجاجات لهجة الضعفاء
الأذلاء لتأخذ مكانها القوة لغة يخاطب بها العرب لأول مرة فى
تاريخهم الحديث أعداءهم ..

وكان المعنى الكبير لهذه القوة التي غدت تملكها ثورة مصر العربية ، ولهذا الانتصار التاريخي الذي حققه بطل هذه الثورة، ان ازدادت الجماهير العربية التفافا حول عبد الناصر وايمانا بالقومية العربية التي يرفع رايتها عاليا ، وثقة بنفسها وامكانياتها وارادتها ، وحماسا في النضال من اجل تحقيق الشعارات الكبرى التي ملأت السماء العربية .. الوحدة والحرية والاشتراكية .

وتمكنك هذه الجماهير التي اكتشفت بثورة ٢٣ يوليو امكانياتها الهائلة وارادتها الجبارة وذاتها الخالدة من تحقيق انتصارات كبرى تؤكد شمول الثورة للوطن العربي كله .. —

في عام ١٩٥٥ ، بعد ان تحركت اسرائيل تؤدي مهمة الاشغال والالهاء ، وفشلت في ذلك ، اتخذ الاستعمار فيما اتخذ من خطوات لحصر تيار الثورة داخل حدود مصر ومنع امتداد لهيبها خارج هذه الحدود الى ارجاء الوطن العربي ، تجميع الحكام العملاء في حلف واحد لعله بهذا الحلف يوقف التيار القومي الجارف الذي انطلق من القاهرة ليعم كل بقعة في الارض العربية .. وسموا ذلك الحلف لخداع العرب وتضليلهم حلف بغداد ، ولم يضم من العرب الى جانب بريطانيا وتركيا وايران وباكستان غير العراق، ومع ذلك فان الشعب العربي في العراق عبر عن معارضته لهذا الحلف واستنكاره الانضمام اليه بثورة كثر فيها الضحايا والقرايين والدماء والدموع قبل ان يتمكن العملاء من اخماد صوت الشعب، وقبل ان يتمكن الاستعمار من بدء زحفه الجديد لتطويق الثورة التي تمثلت فيها ارادة الامة العربية .

كانت سوريا والاردن هما الهدف الجديد الذي اتجه اليه الاستعمار .. ولكنه لم يقدر ان يحقق في سوريا اي تقدم في اتجاه الهدف الذي حددته لتضامن الشعب والجيش في مقاومة الاحلاف كمبدأ عام وحلف بغداد كمبدأ خاص ، ثم لعدم تمكن العملاء من العمل في جو مشبع كراهية وحقد على الاحلاف ومؤيديها .. كان الشعب العربي في سوريا يستند في مقاومته العنيفة الى الثورة التي غدت قوة كبرى تساند كل جزء من اجزاء الوطن العربي في معركة تحرره وحماية استقلاله ... وقد وقفت الثورة بكل امكانياتها تدعم سوريا في موقفها وتحارب الحلف بكل

طاقاتها ، ويقينا بان امكانيات الثورة المادية والمعنوية هي التي وفرت للشعب العربي في سوريا كسب الجولة في معركة الاحلاف كما مكنت الشعب العربي في الاردن من الحاق الهزيمة النكراء بالحلف الاستعماري الذي كاد أن يكون طوقا حديديا يفل الطاقة العربية ويعتقل الارادة العربية ...

كان الحال في الاردن عام ١٩٥٥ يختلف كل الاختلاف عن الحال في سوريا ، ففي الوقت الذي كانت فيه سوريا تنعم بالاستقلال الحقيقي التام وتتبع سياسة تنبع من مصالحها وظروفها وارادتها، ويتضامن فيها الشعب والجيش ليكونا جبهة قوية لا تقتحم ، كان الاردن رغم مظاهر الاستقلال مكبلا بمعاهدة تفرض فيها بريطانيا ارادتها عن طريق المعونة المالية التي تقلمها ويتحكم في جيشها الجنرال جلوب البريطاني وحفنة أخرى من ضباط بريطانيا ناهيك عن الظروف الموضوعية التي كان يمكن للعملاء وللقصر والسفارات الغربية أن يعملوا فيها .. لذلك كان من الطبيعي أن تتحطم جهود الحلف في سوريا على تضامن الشعب والجيش هناك ، وكان من الطبيعي أيضا أن تبدل المحاولة الجدية في الاردن لربطه بالحلف، حتى اذا تمكن الاستعمار من ذلك يعاود الكرة على سوريا ...

لقد مهد جلوب والسفارات الغربية والقصر والعملاء جوا افرى الجنرال تمبلر رئيس اركان حرب القوات البريطانية وقتذاك على المجيء الى عمان حاملا القيود والسلاسل في يديه ، ومبالغ طائلة من الاموال والوعود الكاذبة في جيوبه ، واستقبله الملك الحسين في قصره ، ثم اجتمع مع الوزارة التي كان يرئسها سعيد المفتي .. وعندما اتضحت نواياه وعلم الشعب بهذه النوايا تفجرت الثورة التي هزت اركان الامبراطورية العجوز ، ومرغت في الوحل رجلها الذي كان يلقب بـ « قاهر الملايو » .. وعجز جلوب وضباطه ، وعجز القصر وأعوانه ، وعجزت السفارات واموالها ، وعجز الاستعمار وعملاؤه عن اخماد ثورة الشعب التي كانت تتخذ من مبادئ عبد الناصر مبادئ لها ومن شعارات ثورة مصر شعارات ترفعها ، ورفضت وزارة المفتي توقيع صك الخيانة فاستقبلت لتخلفها وزارة برئاسة هزاع المجالي الرجل الذي انتهى في أغسطس من عام ١٩٦٠ وهو يخدم الاستعمار البريطاني بكل جهد يمكنه وكل خيانة لامته يقدر عليها .. وتحدى المجالي ارادة الشعب ،

أراد أن يربط الأردن بالحلف الاستعماري ، ولكنه لم يقدر على المقاومة رغم الامكانيات المادية التي وفرها الاستعمار له ، فتهامى وأجبر على الاستقالة وأسرع الى عشيرته في الكرك يحتفى بها من غضبة الشعب . . واستسلم الملك حسين لارادة الشعب ، فأعلن بأن الأردن لن يرتبط بحلف بغداد ولا باى حلف عسكري مهما يكن نوعه ، كان ذلك اعترافا صريحا بهزيمته أمام الشعب ، واعترافا بانتصار الشعب عليه .

بذلك دف شعب الأردن الذي لايتجاوز تعداده المليون والنصف من السكان اسفين الموت في الحلف الذي أوجده الاستعمار ليطرق به الثورة العربية الكبرى التي تفجرت في القاهرة وبدأ تيسارها القومي يجتاز الحدود المصطنعة ليوثق الأمة العربية على الاخطار التي تهدد وجودها .

ولم يكن لشعب الأردن أن يحقق انتصاره التاريخي ذاك الذي أوقف به زحف الحلف على بقية العالم العربي لولا القوة التي يستمدّها من ثورة ٢٣ يوليو فتبعته في ذاته الثقة ، وبهذه الثقة تحققت في الأردن المعجزة ، وانها لمعجزة حقاً أن يتمكن الشعب الأعزل من السلاح المكبل بالقيود ، المحكوم بالارهاب ، من الانتصار على حلف بغداد بكل امكانياته ، واذلال الشخصية التي تمثل الامبراطورية البريطانية بكل عظمتها وقوتها وكثرة عملائها .

اننا لو نبحث بعمق عن السر الكبير الذي يكمن وراء هذه المعجزة التي تحققت لوجدنا انه عبد الناصر بطل الثورة ورافع لوائها . . لم يذهب عبد الناصر الى الأردن يفود المعركة هناك ضد الاحلاف ، ولم يبعث بالسلاح ولا يقواته لتجارب الاستعمار في مدن الأردن وقراه ومخيمات اللاجئين فيه ، ومع ذلك فانه هو وحده الذي أكسب الشعب في الأردن معركة الاحلاف . . . ذلك أن الشعب هناك حارب الحلف بمبادئ عبد الناصر وثورته وأخلاقه واتخذ من عبد الناصر رمزاً كبيراً له . . ثم ان هذا الشعب خاض تلك المعركة وهو يعلم علم اليقين بأن نتائجها ستؤثر على الانتصارات الكبرى التي حققتها الثورة في مصر . . . ومعنى ذلك أن خسارة المعركة كانت ستعكس على كل ماحققته الثورة ، بل ان هذه الخسارة كانت تعنى وضع عراقيل كثيرة ومنعطفات

خطيرة في طريق الثورة تهدد أهدافها وشعاراتها التي غدت
أهداف وشعارات الأمة العربية .. بهذه الروح خاض شعب
الأردن المعركة ، وهذه الروح هي التي كسبت المعركة لذلك
الشعب المناضل ودفعته لأن يكمل الطريق التي بدأها ، وهي
طريق التحرر ...

كان الشعب وما زال في البلد العربي الذي يمكن من تلال رام الله
وسسهول طولسكوم فيه ضرب تل أبيب بمدافع الميدان البسيط
عيار ٢٥ رطلا وشطر الأراضي المحتلة شطرين أو أكثر ، يعاني
منذ نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ من ظلم الحكام العملاء وسيطرة
الاستعمار البريطاني على البلاد متمثلا في جلوب الذي كان يتولى
قيادة الجيش الأردني وأصدر الأوامر إلى القصر وحكومات الأردن
المتعاقبة دون استثناء .. وكان الشعب يتململ يريد الخلاص من
الكابوس الاستعماري لينطلق بالأردن في الطريق التي تؤدي به
إلى التضامن العربي الأكيد ، أن لم تؤدي به إلى الوحدة العربية
الصحيحة ، ثم تنتهي به إلى المساهمة الفعالة في انقاذ الوطن
السليب الذي قامت على أشلاء شعبه قاعدة تحشد فيها قوى
الصهيونية والاستعمار ... ولكنه ، ما من مرة حاول فيها
التململ أو المطالبة بالأصلاح أو إطلاق الحريات حتى تلقت يد
جلوب الأحرار تزج بهم في السجون والمعتقلات ...

لم تكن هناك في أي جزء من أجزاء الوطن العربي قوة يمكن أن
تكون سندا للشعب في معركة التحرر ، ولم يكن الشعب العربي
يحد ذاته قادرا على الارتفاع بالنضال إلى مستوى الشعارات ..
كانت الشعارات تطالب بالوحدة ، وبوحدة النضال ... ولكن
النضال لم يكن موجدا ، ولم يكن قادرا على تحقيق الوحدة لعدم
وجود القوة المادية التي تدعم هذا النضال وتغذيه وتوفر له أسباب
الانتصار وبلوغ الأهداف ولذلك ، وبسبب وجود حالة متشابهة
في الوطن العربي كله ووجود مصالح متشابهة بين الحكام العملاء
في البلاد العربية كلها ، فإن معركة الحرية بقيت ضعيفة هزيلة
لا تعدى الشعارات والتهافتات .. والمظاهرات في بعض الأحيان .

وتغيرت الحال تغيرا شاملا وجذريا بعد ثورة ٢٣ يوليو إذ
أصبحت للشعب العربي قوة مادية ومعنوية هائلة تدعمه وتبعث

الثقة في نفسه وتفجر ارادته ، وكان لهذه القوة التي بذل الاستعمار كل ماملك في سبيل تحطيمها أو حصرها وفشل ، كل الاثر في النتائج التي انتهت اليها معركة الحرية في الاردن وفي الاقطار العربية الاخرى ثم في اقطار كثيرة من العالمين الافريقي والاسيوي ، فقد اتخذ منها الشعب الاردني سلاحا قويا في معركة التحرر لولا لهعجز كل العجز عن تحقيق اي انتصار فيها . . كان لهذه المعركة جوانب متعددة ، أهمها : سيطرة جلوب والضبباط الانكليز على الجيش ، واعتماد الاردن في موازنته المالية وفي تسليح الجيش على بريطانيا ، ثم ارتباط الاردن بمعاهدة غير متكافئة مع بريطانيا . . معنى ذلك أن بدء القتال في احدى هذه الجبهات الثلاثة دون الاعتماد على قوة قادرة على المساندة الاكيدة وتقديم كل ما تقدمه بريطانيا من مساعدات عسكرية ومعونات مالية ، مجازفة خطيرة محفوفة بالمخاطر الاكيدة ، وكان في الاردن ذاته عناصر كثيرة تبدي ترددها المستمر وخوفها من الاشتراك في أي قتال مع بريطانيا بحجة عدم وجود القوة العربية القادرة على المساندة الاكيدة . . .

كانت سوريا هي الدولة العربية الوحيدة المتحررة من جيوش الاحتلال ومن المعاهدات الاستعمارية ومن الارتباط بالنفوذ الاجنبي والاعتماد عليه ، ولكنها لم تكن بحكم قلة مواردها وحادثة استقلالها ومسئولياتها في بناء مجتمعها وحماية انتصاراتها في وضع يمكنها توفير المساندة الفعالة في معركة التحرر العربي . لذلك بقيت معركة التحرر العربي دون المستوى الذي تتطلبه أو تحتاج اليه مثل هذه المعركة ، وبقيت سوريا بذلك عرضة الى سيل لا ينقطع من المؤامرات ومحاطة بسياسات كثيف من الاعداء . . الى أن تفجرت ثورة ٢٣ يوليو في القاهرة ، فكان تفجيرها ايذانا بتوفير الامكانيات كل الامكانيات وعلى كافة المستويات لمعركة التحرر العربي على المستويين الاقليمي والقومي .

ولقد تمثل ذلك أكثر ما تمثل في ثورة الجزائر التي فجرتها ارادة الشعب العربي عام ١٩٥٤ .

وفي الاردن عام ١٩٥٦ بعد معركة حلف بغداد مباشرة . . وفي الوحدة التي تحققت عام ١٩٥٨ بين مصر وسوريا . ثم في حماية ثورة العراق في يوليو عام ١٩٥٨ .

لقد ارتبطت ثورة الجزائر منذ اشتعالها مصيرا وحياة بالمساعدات التي تقدمها القاهرة لها ، وبقيت القاهرة تتحمل منذ سبع سنوات مسئولية هذه الثورة التاريخية ، ويكفى كى نعلم مدى قيمة الامكانيات التي تقدمها مصر قبل الوحدة والجمهورية العربية بعد الوحدة للثورة العربية في الجزائر ، أن فرنسا كما اعترف زعمائها وسياسيوها ورجال أحزابها أقدمت على الاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ بغية قطع الموارد الحياتية التي تتزود بها الثورة الجزائرية من القاهرة لتتمكن بعدئذ من توجيه الضربات القاتلة للنوار وابقاء الجزائر قطعة من الارض الفرنسية .

كذلك الحال كان بالنسبة للاردن ، لم تجرؤ الحركة الوطنية هناك على بدء المعركة الحاسمة مع بريطانيا الا بعد ان ايقنت وتأكدت من وجود القوة المساندة الفعالة التي يمكنها وفي مقدورها منع اسرائيل من استغلال الظروف والقيام بعمل عسكري مساندة للعملاء والاستعمار ضد اية حركة ثورية أو تحررية . . وقد كانت اسرائيل تلعب دورا كبيرا في تأخير معركة التحرر عن طريق تهديدها المستمر للحدود وغاراتها المتواصلة على القرى الآمنة . . كانت تقصد من وراء الغارات والتهديدات المباشرة وغير المباشرة الهاء الرأي العام الاردني باخطارها ، عن نوع واسلوب الحكم الذي يحقق لها الكثير من الاغراض والاهداف واسباب الوجود . وكان الاستعمار من جهته يدفع اسرائيل للقيام باعمال عدوانية واستفزازية وتهديدات عسكرية للاردن ليؤكد بذلك للرأي العام والحركة الوطنية بشكل خاص ، وجود وتفاقم الخطر الصهيوني . عن طريق هذا الخطر الذي كان يتمثل بتهديد مستمر للضفة الغربية (بقية فلسطين) كان يحاول الحكام العملاء ابعاد الشعب الاردني عن كل ما يحدث في الداخل من مساوئ . . . بل أن هؤلاء الحكام العملاء كانوا يبررون الارتباط والاعتماد على بريطانيا بحجة الحاجة اليها في المحافظة على استقلال وأمن البلاد من الخطر الصهيوني .

ثم بسبب هذا الدور الذي كانت تلعبه اسرائيل لتؤدي به بعض اغراض وجودها كان المترددون والمتبرقعون بالشعارات الوطنية يلعبون هم ايضا دورا خطيرا في بث الروح الانهزامية والتردد وعدم الحزم

في الاوساط الوطنية ، كانوا يبدون حرصهم الشديد على سلامة الحدود ، وعن طريق هذه السلامة كانوا يرفضون المشاركة في اي عمل حاسم . . . حتى المطالبة بتعريب الجيش الاردني كان في نظرهم تطرفا لا مبرر له لان هذا التعريب قد يفقد الاردن حماية بريطانيا لكيانه فتغدو الضفة الغربية لقمة سائغة للصهيونية . . . وبقي هذا الحال قائما ، بقيت اسرائيل تمثل دور الالهسياء والاستعمار يترك اداته الاجرامية ، والحكام العملاء يستغلون الاخطار لتأكيد وجودهم ووجود النفوذ الاستعماري والاجنبي ، والانتهازيون أو المتبرقعون بالشعارات الوطنية المندسبون في صفوف الحركة الوطنية مترددون ومقاومون لفتح المعركة مع بريطانيا حامية الكيان الاردني !. الى ان تفجرت في أرض الكنانة ثورة تجسدت فيها ارادة العرب وقوتهم وآمالهم واهدافهم . . . عتدلت تغير الحال ، أصبحت اسرائيل عاجزة عن تادية دورها الاستعماري ولم يعد لتهديداتها قيمة أو وزن . بعد أن أصبحت الثورة العربية تملك جيشا يتسلح باحدث واثقل الاسلحة يلقي بها الجيش الصهيوني ويرد العدوان بالعدوان ، ويكيل الصاع صاعين ، ويحمي الحدود العربية كلها ويعتبر هذه الحدود كلها وحدة لا تتجزأ ، مؤكدة في ذلك تصميم عبد الناصر على عدم السماح لاسرائيل أن تحقق أي مكسب . . . بذلك تبددت اسطورة الخطر الصهيوني وخسر العملاء والاستعمار سلاحا رهيبا وزال عن الشعب الاردني كابوس ثقيل وتهيات فرص العمل للحركة الوطنية الاردنية .

كانت المعركة الاولى التي خاضتها هذه الحركة ، بعد أن وثقت من قوة مساندة تمنع اسرائيل من استغلال الظروف وتمنع الاستعمار من التدخل المباشر ، مع جلوب الرمز الكبير للاستعمار البريطاني في الأردن . . .

في اليوم الاول من مارس آذار ١٩٥٦ نجح الضباط الاجرام في الجيش الاردني من طرد جلوب وزمرته من الضباط الانكليز وبعض الماجورين ، كان في هذا الطرد صفة ثانية من شعب الأردن لبريطانيا ، خلال ثلاثة شهور ، وكانت الاولى بصفعة خلف بغداد في اواخر ديسمبر ١٩٥٥ .

وبسرعة عجيبة انتهى جلوب ، ولم تجرؤ اسرائيل على القيام

بأي عمل عدواني أو استفزازي أو أي استغلال للظرف الطارئ
خوفا من ردة الفعل التي كانت تتوقعها من الجيش المصري الذي
لم يعد في عهد عبد الناصر كما كان في عهد فاروق جيشا بدون سلاح
أو بدون ارادة .

وكان أول ما قاله جلوب بعد يقظته من الصدمة التي أفقدته كل
مجدده وقيمة خدماته لبلاده الاستعمارية . « لولا عبد الناصر لما
انتهيت بهذه السرعة ولما تحول الاردن هذا التحول الخطير الذي
يهدد مصالح بريطانيا في الشرق الاوسط كله » . . . وجلوب بهذا
القول أصاب الحقيقة ، لعله فعل ذلك لأول مرة في حياته التي
تميزت بالخداع والتضليل والتآمر على سلامة العرب وامנם .

وبعملية الطرد هذه لمثل الاستعمار الكبير اكتشف الشعب
الذي انتصر في حلف بغداد ، ثم في معركة تعريب الجيش وتحريره
من القيضة الاجنبية ، انه قادر على خوض المعركة حتى النهاية
مع بريطانيا .

لم تكن معركة جلوب رغم اهميتها هي الخاتمة ، ان القيمة
الكبرى لهذه المعركة أنها وضعت عبد الناصر وثورته وجها لوجه
امام المسؤولية التاريخية ، ذلك ان الحركة الوطنية بعد النصر الذي
حققته بطرد جلوب ، أصبحت في وضع لا يمكنها فيه الا ان تسلك
أحد سبيلين لاثالث لهما . . اما مواصلة المعركة مع بريطانيا حتى
يتحقق للاردن تحرره الكامل . . . واما التقاعس عن ذلك والاكتفاء
بطرد جلوب والمتاجرة الشعبية في عملية الطرد هذه .

وقبل أن تحدد هذه الحركة موقفها النهائي وتخوض المعركة
الحاسمة كان عليها ان تتأكد من المدى الذي يمكن لعبد الناصر
أن يقفه في هذه المعركة . . . كانت المعركة تتطلب :

١ - تقديم مساعدة مالية عربية تساوى بالمقدار ماتدفعه بريطانيا
للاردن .

٢ - ضمان منع إسرائيل من الاعتداء والمشاركة محتدمة ، على
حدود الاردن واحتلال جزء من أراضيه .

كان عبد الناصر وقتئذ في أوائل عام ١٩٥٧ خارجا من المعركة

الكبرى التى خاضها مع قوى فرنسا وبريطانيا واسرائيل ، وكان معنى ذلك أن امكانيات مصر كلها موجهة لازالة آثار العدوان واعادة بناء ما دمرته قنابل المعتدين .

ومع ذلك ، على الرغم من ضخامة المسئولية فى إعادة بناء مدمرته الحرب ، أكد للاردن بما لا يحتاج الى شك ضعيف ، أنه بكل امكانيات مصر العربية وثورتها العربية يقف الى جانب الاردن فى معركته التحررية ، ويتحمل بمسئولية تاريخية تامة تقديم معونة مالية سنوية تزيد عن المعونة التى كانت تقدمها بريطانيا للاردن كجزء من المعاهدة التى كانت تجعل الاردن تحت رحمة بريطانيا ... وغير ذلك أيضا ، تتعهد للاردن حماية حدوده من أى اعتداء صهيونى .

ولم يعد امام الحركة الوطنية الاردنية وقد لقيت من عبدالناصر كل هذه المساندة الا أن تسلك الطريق الاول ... طريق خوض المعركة النهائية مع بريطانيا .

اكثر من ذلك ، أن عبدالناصر ليطمئن الاردن على حقيقة موقفه ، وعلى أن هذا الموقف نابع من المسئولية القومية التى يتحملها اتفاق مع شكرى القوتلى رئيس جمهورية سوريا وقتذاك ومع الملك سعود فى فبراير ١٩٥٦ على دفع معونة مالية سنوية للاردن مقدارها ١٢ مليوناً ونصف المليون من الجنيهات المصرية تتحمل مصر منها مبلغ خمسة ملايين جنيه . . . وتم بعد هذا ، توقيع ميثاق التضامن العربى بين مصر وسوريا والاردن والسعودية تتعهد الدول الاربعة بموجبه على العمل المشترك الواحد لاتخاذ فلسطين ورد أى عدوان اسرائيلى تتعرض له الدول العربية .

بذلك ، لم يتحمل عبد الناصر المسئولية القومية فحسبه ، بل أنه أعطى السلاح الذى يمكن للحركة الوطنية الاردنية أن تحارب به . ولقد حاربت هذه الحركة بسلاح عبد الناصر ، بالارادة والثقة وبالامكانيات المسادية والعسكرية والمالية وبالتأييد التام والحماية اللازمة . . . وفى خلال اسبوعين اثنين ، أى عند منتصف شهر مارس كان الاردن قد أنهى المعاهدة البريطانية الاردنية والغاء المعونة المالية وتحرر من قبضة بريطانيا الاستعمارية . . .

ولئن كان عمر هذا التحرر قصيرا فان المسؤولية في ذلك يتحملها
العبياء الذين تأمروا على انتصارات الشعب وأرادوا أن يكونوا
خناجر مسمومة في يد الاستعمار يطعن بها الشعب الاردني طعنات
غادرة منذ أكثر من أربع سنوات ، منذ ابريل ١٩٥٧ .

ومن الانصاف أن نيسجل بان الحركة الوطنية التي كانت تمسك
بيديها مقاليد الحكم ، بسبب وجود العناصر الانتهازية في صفوفها
وعدم وعيها وارتفاعها الى مستوى المعركة والاحداث والمؤامرات
تتحمل بعض المسؤولية في النكسة التي أضاعت جميع المكاسب
التي حققها الشعب بدمائه وجهاده وتضحياته لانها تقاعست
وترددت في حسم الموقف وفي المحافظة على الانتصارات التي غدت
أمانة وضعها الشعب بين يديها الوطنية .

وليس المجال الآن للحديث عن تلك النكسة وأسبابها ، انما
يجب أن نبحث قليلا عن الدوافع الاستعمارية التي من أجلها تأمر
في الاردن وبذل الكثير من الامكانيات والجهد في سبيل استعادة
الاردن الى حظيرته . .

فعل الاستعمار ذلك من أجل هدفين رئيسيين :

الاول - لحماية اسرائيل .

والثاني - لضرب الثورة التي غدت الحركة القومية العربية
الثورية الهادفة الى تحقيق الوحدة الشاملة وتصفية قلاع الاستعمار
ونفوذه من عالمنا العربي ومن كل مراكزه في العالم .

لقد عاشت اسرائيل بعد فشل العدوان ، ثم بعد انتصار الاردن
على بريطانيا في تحرره من المعاهدة والمعونة المالية ، وبعد سير
الاردن في القافلة العربية المتحررة التي يتزعمها عبد الناصر ويقودها
لسحق اسرائيل واستعادة الديار المغتصبة ، أياما من عام ١٩٥٧
تعتبر أخطر أيام الوجود الصهيوني في فلسطين . . تمتد تلك الايام
بين فبراير وابريل ، وهي رغم قصرها كانت بالنسبة لاسرائيل
جائحة السواد تجعل في طياتها الموت والدمار والقتل . .

خطورة تلك الايام كانت في أن مصر وسوريا والاردن غدت
متحررة كل التحرر لأول مرة في تاريخ العرب الحديث . . كانت
الاردن هي آخر قلعة يتخذها الاستعمار لحماية الوجود الصهيوني

في فلسطين . . . وعندما استعيدت هذه القلعة وغدت غربية متحررة تسير مع مصر وسوريا اللتين تطوقان اسرائيل من الشمال والجنوب أصبحت القاعدة الاستعمارية أو الوجود الصهيوني محاطا من جميع الجهات ، اللهم غير البحر ، وسيادة البحر كانت قد أضحت بيد مصر ، بجيش عربي واحد وأهداف قومية واحدة وقيادة عربية يتولاها عبد الحكيم عامر . . . بذلك كان حزام الموت قد اكتمل حول اسرائيل ، وأصبح الجسر الذي أعد للعبور الى الوطن العربي مهددا بالنسف والتدمير .

ولقد زاد من الاخطار المحدقة بالوجود الصهيوني وقتذاك ان اكتمال حزام الموت حدث بعد العدوان الثلاثي الذي خرج منه عبد الناصر عملاقا يمثل الارادة العربية وتلتف حوله جماهير الامة العربية كلها . . . وعبد الناصر بالنسبة للصهيونية والاستعمار بعد الفشل الذريع ، رغم امكانياتهما ومواردهما ، في تسجيل أى هدف أو تحقيق أى نصر عليه مهما صغر شأن ذلك النصر ، أصبح يعنى أكثر من خطر في المنطقة العربية يهدد المصالح الاستعمارية أو الوجود الصهيوني ، صار يعنى قوة ثورية مصممة باصرار وارادة على تحرير الوطن العربي كله واستعادة الوطن السليب كله . . . خاصة وان القوة الثورية لم تعد محصورة في حدود مصر الاقليمية كما حاول الاستعمار أن تكون ، ، انما انطلقت من هذه الحدود الاقليمية لتعم العالم العربي كله ثم لتمثل حقيقة كبرى في حزام الموت المحيط باسرائيل .

كان أحد أغراض الوجود الصهيوني ، منع أى تكتل أو أى اتحاد أو أى تضامن عربي يهدد الاستعمار واسرائيل أو يهدد عملاء الاستعمار وركائزه في المنطقة ، ولكن الاحداث التى تمخضت بعد ثورة ٢٣ يوليو في المنطقة العربية جعلت اسرائيل مشلولة عاجزة عن العمل . . . فالاتحاد الذى وجدت لتخاربه ، لم يعد مجرد دعوة لقد أصبح حقيقة تسطع منها أشعة الموت . . . والتضامن الذى وجدت لتحويله دون تحقيقه ، لم يعد مجرد أمل . . . لقد أصبح حزاما قاتلا للوجود الصهيوني .

كان الوجود الصهيوني في تلك الفترة يحس باليد العربية تززع أركانه ، ويلمس القوة العربية تتحرك لتدميره . . . وكان الاستعمار يرى القاعدة التى أوجدها لتحقيق له في العالم العربي أهدافا

واقراضاً مهددة بالسحق .. وفي حاجة ماسة للانتقاذ والحماية
ولم يكن هناك أى سبيل لانتقاذ هذا الوجود العدواني الذى
يمثل رأس جسر للاستعمار والصهيونية غير تحطيم حزام الموت
الملتف حول إسرائيل ..

تحرك الاستعمار لتحطيم هذا الحزام . فلم يجد مكاناً ينفذ
منه غير الأردن ، ونجح الاستعمار أن يفتح ثغرة فى الأردن ، تم
نجم فى توسيع هذه الثغرة بإعادة سيطرته على الأردن ، وإخراج
هذا البلد العربى ذى الموقع الاستراتيجى الهام من منطقة حزام الموت .
وتقطع هذا الحزام ، بفعل الخيانة والتآمر واللاوعى ، الى حين .

اذن ، كان تحطيم « حزام الموت » هو الهدف الاول من المؤامرة
الاستعمارية التى نفذت فى الأردن فى ابريل عام ١٩٥٧ ، ولقد تحطم
الحزام ، وامتد بذلك عمر إسرائيل سنين أخرى ..

أما الهدف الثانى ، فهو ضرب الثورة ، او ضرب الحركة القومية
العربية الثورية التى تطورت اليها الثورة فى غضون أعوام قليلة
بأسلوب جديد ووسيلة جديدة .

ليست هذه هى المحاولة الاولى لضرب الثورة .. فقد سبقتها
محاولات كثيرة كانت القمة فيها تلك الحرب التى شنتها بريطانيا
وفرنسا وإسرائيل عام ١٩٥٦ ، والتى لم يكن هدفها احتلال قناة
السويس المؤممة بقدر ما كان هدفها تدمير الثورة ، ذلك لان القوى
الاستعمارية كانت تحس بخطورة هذه الثورة احساس الرجل
المحاصر فى زاوية تنهال عليه السياط من كل جانب . ان الدول
الاستعمارية كانت تعلم علم اليقين بانها لو نجحت فى الاستيلاء على
قناة السويس دون أن تحطم الثورة وقوتها العسكرية فانها ستبقى
عاجزة ليس فى الاحتفاظ بهذه القناة فحسب ، بل وفى حماية جميع
المصالح الاستعمارية فى الوطن العربى كله . لذلك كان الهدف هو
ضرب الثورة وتدميرها بعد أن تحقق الفشل فى إمكانية حصرها
ضمن حدود مصر ، ولكن الثورة بقيادتها الحكيمة الحازمة نجحت
من مكائده ومؤامرات الاستعمار والصهيونية محتفظة بقوتها وارادتها
وثورتها .

وتوقع الاستعمار أن تنتهى الثورة بمخلفات الحرب فتصرفه

ولو لمرحلة زمنية عن المعركة التي تخوضها الجزائر ، أو عن معركة التحرير التي يخوضها الشعب العربي في كل قطر من أقطاره ، أو عن معركة الأردن التي بدأت في ديسمبر ١٩٥٥ واستمرت تتأجج وتقترب من مراحلها الحاسمة في أوائل عام ١٩٥٧ .

توقع الاستعمار أن تعجز الثورة عن تقديم العون للجزائر فتخسر صرعى تحت أقدام فرنسا ، ولكن حرب الجزائر بعد العدوان ازدادت ضراوة وقوة وازداد جيش التحرير الجزائري تسليحا ومقدرة على الحرب .

كذلك توقع الاستعمار أن تعجز الثورة عن دعم الشعب الأردني في كفاحه البطولي فيكسب الجولة ويضمن لنفسه البقاء واستعادة السيطرة على الجيش المتحرر المتمرد ، ولكن تطور الأحداث في الأردن أيضا كان على عكس ما توقع الاستعمار ، إذ أن الثورة بقيت تتحمل المسؤولية القومية والتاريخية فتمد يد العون لكل انتفاضة تحررية ينتفضها الشعب العربي في أجزائه المتناثرة ، ومن خلال تحملها للمسؤولية القومية تحملت أعباء معركة الأردن . . . وتحقق للشعب العربي في الأردن تحقيق انتصارات حاسمة كان من نتائجها حزام الموت الملف حول إسرائيل .

مرة أخرى ، وبسرعة أكثر مما قبل ، وجد الاستعمار نفسه وجها لوجه في معركة حاسمة مع الثورة . . لقد جازف بكل إمكانياته المادية والمعنوية لضرب الثورة وحصر نيرانها ، ولكن هذه النيران امتدت بعد العدوان بسرعة مذهلة ، فهاهى النيران تلتهم المعاهدة البريطانية الأردنية وتحرق المعونة المالية البريطانية وتدمر قلاع الاستعمار التي اتخذها مراكز حماية لإسرائيل ، أنه يرى نيران الثورة تهدد وجوده ومصالحه أكثر من ذي قبل ، ولذلك قرر أن يعاود الحرب معها دفاعا عن نفسه وعن القاعدة التي أعدها للغزو والهجوم .

لم يعمد إلى العدوان المسلح ، فقد جرب هذا النوع من المحاربة قبل ثلاثة أشهر فقط وفشل فيه فشلا أفقده الكثير من هيئته وسمعته ، إنما عمدا إلى ضرب هذه الثورة في الانتصارات التي تحققت بفعالها وزادتها بذلك قوة ومقدرة على الحركة والانطلاق . . يتضح من هذا أن الهدف الاستعماري لم يتغير ، أنه اليوم كما

كان عند تفجر هذه الثورة ... الهدف هو ضرب الثورة . ولكن أسلوب الضرب هو الذى يتغير تبعاً للمراحل التى تمر بها هذه الثورة العربية . . الحصار الاقتصادى كان أسلوباً والعدوان الثلاثى كان أسلوباً آخر ، واحتكار السلاح كان أسلوباً ثالثاً ، وحرب التشويش عن طريق الاذاعات كان أسلوباً رابعاً ، والتآمر من الداخل كان أسلوباً خامساً ، ومحاولة الاعتداء على حياة رمز الثورة وقائدها كان أسلوباً سادساً . . ثم هناك أساليب أخرى كثيرة التنوع انتهت الى الفشل المخزى ، ومع ذلك فان أساليب الاستعمار لم تنفذ ، ويجب ألا نتوقع نفاذها مادام انه وجود فى العالم

الاسلوب الجديد لصد تيار الثورة الذى واصل انطلاقه بعد العدوان الثلاثى هو استعادة المراكز التى خسرها الاستعمار . . . أى المراكز التى كسبتها الحركة القومية العربية الثورية . . ثم اتخاذ هذه المراكز مواقع هجومية ضد الثورة بغية حصرها والتقليل من شأنها ، واضعاف ثقة العرب بها ، وزعزعة ايمانهم بقائدها .

كانت الاردن ، لاعتبارات كثيرة . . أهمها نظام الحكم وسلامة جبهة العملاء ، ومقدرة هؤلاء العملاء على العمل فيها ، ثم اتساع المجال امام بريطانيا وأمريكا للتآمر هناك مع عدم توفر التجربة لدى الحركة الوطنية الحاكمة وقتذاك . . أضعف المراكز التى وصلت اليها حركة التحرر العربى ، ولذلك فان الاستعمار بدأ أسلوبه الجديد فيها . . تأمر مع العملاء والرجعية والانتهازية ، وحقق نصراً موضوعياً فى استعادة بعض المراكز ، ثم اتخذ هذه المراكز مواقع هجوم على الثورة وقادتها . . ولكنه لم ينجح فى احراز أى تقدم ، فبقيت الثورة متأججة وتيارها قوى يلف العالم العربى ويوقظ الجماهير على واقعها ويهز الوجود الاستعماري ومصالحه هذا عنيفاً متواصلاً . بل أن هذا التيار الثورى لم يتوقف عن الحركة فى الاردن التى استعادها الاستعمار ، انه هناك كما فى بقية العالم العربى ، ارادة تتحفز وقوة تجعل الاستعمار والعملاء من شسدتها يعيشون عيشاً متواصلاً منذ أربع سنوات على أطراف أعصابهم، يحتمون بالارهاب والبطش والتنكيل وبتحويل الاردن كله الى معتقل واسع للشعب العربى هناك كله . من أجل هذين الهدفين ، من أجل حماية اسرائيل ، ثم من أجل

ضربة الثورة التي لم ينجح العدوان المسلح بتوقيف زحف تيارها وانطلاقه الجبار ، وضع الاستعمار كل قواه وثقله في الاردن ، وكسب جولة هناك ترتب عليها تخفيف شدة ضغط حزام الموت على اسرائيل لفترة قصيرة فقط . . أما الثورة فان ضربها أهون منه الوصول الى المريخ بدوّن سفينة فضاء . فقد استمر تيارها الثوري في اندفاعه الجارف يهدم القلاع الاستعمارية ويبني الوجود العربي القادر على مواجهة تحدى الوجود الصهيوني المقيم كالسرطان في قلب الوطن العربي .

لقد اعتبرت نكسة الاردن تحدياً خطيراً للإرادة العربية ، ووجب على هذه الإرادة أن تواجه التحدي الجديد ، الذي اذا أضيف الى التحدي الصهيوني الاستعماري المتمثل باسرائيل يشكل خطراً على الوجود العربي كله ، بقوة الثورة ومفهومها .

لو أن الإرادة العربية عجزت عن التحدي الذي واجهته في الاردن لكان ذلك يعني عجزاً في التحدي الذي تواجهه الأمة العربية من الصهيونية العالمية . . وأكثر من ذلك ، لكان يعني بداية الطريق التي يمكن أن ينطلق منها الاستعمار لتوجيه ضربات قوية للثورة

ولكن الذي حدث ، أثبت مقدرة الإرادة العربية على مواجهة التحدي والصمود في وجه أخطاره وتحقيق انتصارات زادت من قوة اندفاع التيار الثوري وشدة انطلاقه وتهديده للوجود الصهيوني والوجود الاستعماري على السواء .

كانت خطة الاستعمار بعد استعادته للاردن ان يقفز الى سوريا التي تشكل الطرف الشمالي الهام من حزام الموت المحيط باسرائيل وسعى الى هذه القفزة بكل قواه وامكانياته وبكل الأعداء المحيطين بسوريا وبكل العملاء الذين كانوا موجودين في سوريا . . . ولست اريد أن اقول انه فشل في ذلك لان النصر الذي حققته الثورة العربية اكبر بكثير من أن يقاس بفشل الاستعمار في سوريا ، أو في قفزته الثانية التي استعد لها بعد نجاح قفزته في الأردن . . .

هدف الاستعمار في ذلك الوقت ، وهو كهدف استراتيجي موجود حتى اليوم كان يرمى الى الاستيلاء على سوريا لتحقيق الهدفين اللذين من أجلهما قام بقفزته على الاردن . . حماية اسرائيل وضرب الثورة ، غير أن الاستيلاء على سوريا بعد سيطرته

على الاردن كان يعنى لو تحقق حصر الثورة داخل الحدود المصرية
وتضييق الخناق الشديد عليها وخلق المتاعب الكثيرة لالهائها
وابعادها عن معركة التحرر التى يخوضها الشعب العربى . .

لو تم الاستيلاء على سوريا ، لتحقيق للاستعمار بذلك اقامة
حكومات فى العالم العربى كله يمكن تشبيهها بالقلع التى تخرج
منها قوى متعددة تتعاون فى الحصار الشديد الذى يضرب على
مصر الثورة وعلى تيارها القومى الجارف . . على الاقل ، كان يمكن
لهذا الاستيلاء لو تحقق أن يضمن تثبيت الوجود الصهيونى وأن
يخلق متاعب لا حصر لها للوجود العربى وأن يعوق الحركة القومية
العربية عن الوصول الى اهدافها ثم ان يجعل الثورة التى تهدد
الوجود الصهيونى والاستعمارى مهددة تهديدا مباشرا بالغ الخطورة

طبعاً لم يتم الاستيلاء الاستعمارى ، حتى القفزة التى استعد
لها الاستعمار لم تتم . . فقد تمكن الشعب والجيش فى سوريا
من حماية سوريا رغم احاطتها بالاعداء من كل الجهات تماماً كاحاطة
السوار للمعصم . . . اسرائيل تجثم متحفزة على جانب من
الحدود ، والى جوارها الاردن التى سقطت بفعل التآمر والخيانة ،
والى الشرق كان يوجد نوري السعيد وعبد الله اللذان حتى
لحظات سخطهما فى شوارع بغداد وتعليق ماتبقى من عظامهما على
اعمدة الكهرباء كانا يتآمران على سلامة سوريا واستقلالها وامنها ،
والى الشمال توجد تركيا مفتتحة لواء الاسكندرونة الحاقدة
بالطبيعة على العرب والقاعدة الكبرى للاستعمار الغربى . . ومن
الغرب لبنان ، وكان يتحكم فى لبنان كميل شمعون . . .

فى زحمة التآمر على سوريا ، كان التيار الثورى المنطلق من
القاهرة يتفاعل بقوة مع الارادة العربية فى سوريا . . ونتج عن
هذا التفاعل قوة غيرت الواقع السياسى فى الشرق الاوسط كله
واكدت الوجود العربى وقدرته على التجدى . .

بهذا التفاعل حققت الثورة انتصارا تاريخيا هو اعظم انتصاراتها
واعظم ما تحقق للامة العربية فى تاريخها منذ عهد صلاح الدين
الايوبى قبل ٨٠٠ عام . . قيمة هذا الانتصار ليس فى كونه تحقيقاً
للارادة العربية وللشعارات القومية العربية فحسب ، بل فى كونه
هزيمة نكراء للاستعمار وتحطيماً لمشناريه وخططة وحواجزه
وآماله وعمالته .

اتخذ الاستعمار من فلسفة « فرق تسد » دستورا مقدسا يحكم بموجبه عالمنا العربى . ولقد اتخذ هذا الدستور فى المجالين القومى والاقليمى . . على المستوى القومى جزءا الامة الواحدة الى مجموعة من الشعوب ، والوطن الواحد الى مجموعة من الدولات الضعيفة . . ثم اوجد فيها حركات دخيلة كحركة القوميين السوديين والكتائبين والاخوان المسلمين والفرعוניين . . وعلى المستوى الاقليمى خلق تناقضات اجتماعية وانقسامات عشائرية ومنافسات عائلية وعصبية . . وحارب فى المجالين الوعى القومى او اية حركة ترفع شعار الوحدة او وحدة النضال . . ومن أجل تأكيد التجزئة وتأكيد محاربته للوحدة العربية ، اوجد اسرائيل لتكون حاجزا بشريا يفصل عرب آسيا عن عرب افريقيا .

ولكن خلق اسرائيل كان بداية لمعركة طويلة بين العرب والاستعمار ، والمعركة مازالت محتدمة منذ أكثر من ثلاثة عشر عاما . . كانت هذه المعركة قد اشتعلت منذ وطئت أقدام الاستعمار أرضنا العربية ، ولكنها لم تأخذ شكل التحدى والعنف الذى بدأت تتخذه بعد اقامة اسرائيل ، لان خلق وجود عدائى للوجود العربى كان استفزازا للارادة العربية ردت عليه بثورة لها قدرة حماية الوجود العربى من أخطار الصهيونية واطماع الاستعمار .

أهداف الاستعمار من وراء التجزئة التى أوجدها ثم أوجد طبقات تحافظ عليها وتحميها ، هو ابقاء العالم العربى ضعيفا ، وبهذا الضعف يقدر على الاحتفاظ به جزءا أساسيا من استراتيجيته العسكرية ، ومجالا واسعا لاحتكاراته ومصالحه ، وكان خلق اسرائيل جزءا من خطته التى يهدف بها محاربة الوحدة العربية التى يعنى تحقيقها نهاية حتمية للاستعمار وجودا ومصالحة فى العالم العربى كله .

غير أن هذه المحاربة رغم كثرة الاسلحة والاسباب التى اتبعت ، ورغم وجود اسرائيل ودورها ، لم تمنع قيام الوحدة . .

لقد التفت عناصر كثيرة جدا فى محاربة هذه الوحدة الاستعمار يحاربها من أجل ابقاء العالم العربى منطقة نفوذ له لا ينافسه أحد فى خيرات أو موقعه الممتاز . والصهيونية العالمية تحارب الوحدة لان تحقيقها يعنى بالبداهة

استحالة تحقق المخطط الصهيوني واستحالة الاحتفاظ بالقواعد
التي وجدت أو راس الجسر الذي أقيم وأعد للعبور والغزو
والطبقات العميلة التي ترتبط بمصيرا ووجودا بمصير الاستعمار
والتجزئة ، تحارب الوحدة لان صيرورتها حقيقة قائمة تعنى
بالنسبة لها أى بالنسبة للطبقات العميلة نهاية لوجودها .

رغم هذا الالتقاء بين هذه العناصر ، فإن ارادة الامة العربية
كانت أقوى منها مجتمعة ، بدليل ان الهدف الذي يحاربونه بكل
القوى والامكانيات تم بلوغه والوصول اليه بعد معركة يمكن اعتبارها
من حيث المستوى ، حاسمه بالنسبة لوجود العربى ، لان انتصار
الحركة القومية العربية فى هذه المعركة هو انتصار فعلى للوجود
العربى الذى أخذ ينمو مع نمو ثورة ٢٣ يوليو . ويتطور بتطورها
وبالمراحل التى تمر بها ، ثم بالانتصارات التى تحققها .. ولو
اننا نأخذ الامر من الناحية السلبية فنفترض عدم النجاح فى هذه
المعركة . لكان الوجود العربى كله مهددا باخطار لا حصر لها ..
ثم لو اننا نأخذ الامر اياه من الناحية الايجابية لوجدنا أن النصر
فى المعركة يعد أعظم الانتصارات التى حققتها الثورة بعد وجودها
الذى لولاها لما تحققت سلسلة الانتصارات ولما أصبح الوجود
العربى قادرا على مواجهة التحدى التاريخى الذى يهددهم تهديدا
خطيرا .. ثم لما تحقق الوصول الى الهدف الكبير الذى قذف
الاستعمار والصهيونية العالمية والطبقات العميلة بكل ثقلها فى طريقه

لولا الثورة لما تحققت الوحدة ، هذه حقيقة تاريخية لا يقدر
أحد على انكارها أو التقليل من وضوحها . تماما كما يستحيل
على المرء أن ينكر بانه لولا الثورة لما تم الجلاء عن مصر ، ولما
تحقق الاستقلال للسودان ، ولما تامت قناة السويس ، ولما
وجد الإصلاح الزراعى ولا الثورة الصناعية ، ولما بنى المجتمع
العربى الاشتراكى التعاونى الديمقراطى على انقاض المجتمع الفاسد ،
ولما كان النصر فى معركة احتكار السلاح التى ترتب عليها تزويد
الجيش العربى بقوة قادرة على حماية الوجود العربى ودعم الشعوب
فى معارك تحريرها ، ثم لولا الثورة لما تحققت الانتصارات القومية
العربية ، ولما ارتفع مستوى النضال العربى الى المستوى القومى ،
ولما توقفت الصهيونية العالمية عن اعتداءاتها وغزواتها .. أيضا ،

لولا الثورة لما تحققت أشياء كثيرة نعيشها ونتمتع بها ونجد لذة في حمايتها والدفاع عنها .

قبل الثورة كان المجتمع العربي في مصر عرضة لكثير من التيارات التي تحارب العروبة وتنكر على مصر عروبتها ، كانت تلك الحركات ان لم يكن الاستعمار هو المحرك لها تلتقي مع الاستعمار في تشويه وجه مصر العربي ، وكان من الصعب وقتئذ ان نجد المرء في مصر حركة عربية قادرة على مواجهة الحركات الدخيلة والاستعمارية ، ثم قامت الثورة ، وبقيامها برز وجه مصر العربي نقيا . وتلاشت الحركات العدائية ، وبدأت مصر بامكانياتها وطاقاتها البشرية ومواردها المادية تتولى مسئوليتها التاريخية بتولى قيادة النضال العربي .

قبل الثورة ، كانت ترتفع في العالم العربي خاصة في المنطقة الشمالية من القسم الاسيوى شعارات تنادى بالوحدة ، ولكن هذه الشعارات لم تجد حركة قومية قادرة على ترجمتها الى عمل حقيقى تلمسه الجماهير العربية . . لقد وجدت هذه الشعارات حركة قومية أدت دورا ايجابيا في تجميع الجماهير الشعبية حولها ، ولكنها عجزت كل العجز في الانتقال بهذه الشعارات من مرحلة رفعها والتهافت بها الى مرحلة تطبيقها وتنفيذها .

وقبل الثورة ، كانت الامة العربية تعيش في فراغ كبير ، فقد كانت هذه الامة بدون زعيم تلتف حوله بثقة وايمان . . ولعل ذلك ، عدم وجود الزعيم الذى تلتف حوله الامة أحد الأسباب الكبرى التى أعاق نمو الوعي القومى وبالتالي أعاق تحقيق الوحدة أو الانتقال بالامة من مرحلة رفع الشعار الى مرحلة تنفيذ وتطبيق هذا الشعار على الطبيعة . .

من هذه الظواهر الثلاثة الكبرى التى كانت تعيشها امتنا ، يمكن ان نقيس قيمة الثورة على المستوى القومى . بعد قيامها لم يعد في مصر غير الحركة القومية العربية . . سبب ذلك أن جميع الحركات الاخرى كانت ترتبط مصيرا ووجودا بالنفوذ الاجنبى ونظام الحكم الفاسد والطبقات العميلة والمصلحية ، وعندما تفجرت الثورة تلاشى النفوذ الاجنبى وزال النظام الفاسد ولم يعد للطبقات العميلة والمصلحية وجود ، وكان من الطبيعى ان

تتلاشى معها الحركات التي كانت ترتبط بها مصيراً ووجوداً ، ،
بذلك عاد الصفاء الى وجه مصر العربي .

وبقيام هذه الثورة ظهر في أمتنا عبدالناصر يجود لها باخلاص
ووفاء بكل جهده وكل صحته وكل لحظة من لحظات عمره ،
فتجسدت فيه آمال الأمة العربية كلها ، والتفت حوله الجماهير
العربية كلها . . بذلك سد الفراغ الذي كانت تشكو منه أمتنا ،
لقد اكتشف الشعب العربي بعبد الناصر الإرادة العربية والمبادئ
القومية بعد حقبة طويلة من الزمن لم يعرف فيها غير حكام
ورجال لا يبرعون في الخداع والتضليل براعتهم في العمالة والخيانة
.. وصار الشعب من كثرة تجاربه مع هؤلاء يمتنع عن الثقة بأحد
إلا بالتجربة . . والوحيد الذي كسب الثقة منذ حوالي ألف عام
هو عبد الناصر ، وقد كسبها بالتجربة أيضاً . . أن أعماله الثورية
هي التي جعلت الشعب العربي كله يلتف حوله التفافه حول
أمانيه وآماله ومصيره . .

وكنتيجة حتمية لوجود الزعيم الثوري الذي تسلمه الأمة زمام
القيادة ، ثم لتوفر الإمكانيات المادية والطاقات البشرية في جزء
هام من العالم العربي هو مصر ، لا بد من أن تقطع الأمة في مسيرتها
الكبرى مسافات بعيدة ، وأن تصل في هذه المسافات الى
بعض الأهداف .

أن مسيرة الأمة العربية منذ أن انطلقت صيحة محمد بن عبدالله
فوق كثبان الصحراء قبل أربعة عشر قرناً تستهدف تحقيق وحدة
شاملة لأمة العرب ، تكفل لهم العزة والكرامة والمهابة والحماية . .
ولئن كانت هذه الأمة تصل الى هذه الوحدة حيناً وترتد عنها
حيناً آخر بفعل عوامل كثيرة ، إلا أنها لم تتباطأ في هذه المسيرة
إلا في الفترات التي كان ينعدم فيها زعيم يقودها ويجمع كلمتها ويلم
شمليها . . لذلك نرى في مثل تلك الفترات التي تنعدم فيها
الزعامة الحقيقية ، انقسامات تزداد وتتكاثر بفعل العوامل
الاستعمارية والعصبية ، ويترتب على ذلك ضعف شامل للأمة . .
ولكن هنا الضعف يتحول فور ظهور الزعيم القومي الى قوة
ثورية وإرادة خلاقه قادرة على جمع الشمل وتحقيق الوحدة
من جديد .

وعبد الناصر ، الزعيم الثورى فى هذه المرحلة التاريخية التى تخوض فيها الامة العربية معركة المصير والوجود ، يقود هذه الامة فى مسيرتها الكبرى الى الوحدة الشاملة .. ولقد وصل بهذه الامة الى الخط الاول من خطوط الوحدة الكبرى .

فى يوم ٢٢ فبراير (شباط) ١٩٥٨ أعلن مولد الجمهورية العربية المتحدة . والمعنى الكبير الذى حمله مولد هذه الجمهورية ان الثورة التى قامت يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ تحولت الى حركة قومية قادرة على العمل والحركة والانطلاق بالمستوى القومى ، وان هذه الحركة بتفاعلها مع الارادة العربية فى سوريا خلقت النواة السليمة القوية للوحدة العربية الشاملة .

يتحقق هذه الوحدة اصبح للعرب دولة كبرى قادرة على حماية الوجود العربى من كل الاخطار وكل المؤامرات التى يستهدفها ، وقاعدة كبرى تمتد معركة التحرر العربى بالامكانيات المادية والطاقات التى تكفل احراز نصر حاسم ، وقائدة ترتاد المجهول وتشق الطريق للامة العربية لتكمل المسيرة الكبرى .

ثم يتحقق هذه الوحدة انتقلت الامة العربية من مرحلة رفع الشعار الى مرحلة تطبيق هذا الشعار .. كان الشعار العربى القومى ينادى بالوحدة والتحرر والاشتراكية .. وجاءت الثورة حركة قومية عربية يقودها عبد الناصر تجعل من الوحدة والتحرر والاشتراكية حقيقة يلمسها المواطن العربى ويلمسها كل مواطن فى العالم ..

الوحدة التى تحققت هى ثمرة للتحرر كذلك الاشتراكية ، معنى هذا ان الاهداف القومية الكبرى الثلاث ، الوحدة والتحرر والاشتراكية ، متلازمة متكاملة لا يتحقق واحد منها الا بتحقيق الآخر . فالوحدة لم تتحقق ، وما كان لها ان تتحقق بدون التحرر ، والاشتراكية التى ينعدم فى ظلها ، استغلال الانسان لجهد أخيه الانسان ، كما ينعدم الاحتكار وسوء توزيع الثروة يستحيل اقامتها فى بلد غير متحرر اللهم الا اذا كان ذلك البلد خاضعا لنفوذ وسيطرة دولة اشتراكية .

لو أننا نأخذ هذا القول ونطبقه على واقع العالم العربى لوجدنا ان مصر قبل الثورة لم تكن تمارس استقلالها ، أى انها لم تكن

متحررة ، كانت خاضعة للنفوذ الإستعماري ، ولم يكن في العالم العربي غير سوريا تستمتع باستقلال حقيقي ، ولكنها في الوقت ذاته كانت عاجزة عن التفاعل مع أي قطر عربي آخر لإنعدام القطر العربي المتحرر ، وعرضة لسلسلة طويلة من الاطماع والمؤامرات الهادفة الى فرض السيطرة الاستعمارية عليها عن طريق ضمها الى الاردن حيناً والى العراق حيناً آخر . . . وزالت هذه الحالة التي تمنع التفاعل وبالتالي تمنع تحقق الوحدة بقيام ثورة ٢٣ يوليو في مصر ، بهذه الثورة أصبحت مصر متحررة من كل نفوذ وأصبحت تمارس استقلالها الفعلي ممارسة عملية كاملة وغدت بذلك تتحمل مسئوليتها التاريخية القومية في قيادة الامة العربية نحو أهدافها الكبرى ، والوحدة أحد هذه الأهداف الكبرى ، وقد تحققت بين مصر وسوريا لانهما البلدان العربيان الوحيدان اللذان يتمتعان بالتححرر . وكان تحققها مسئولية تاريخية يتحملها عبد الناصر رغم كونها تعبيرا عمليا لارادة الثورة العربية والشعب العربي في كل من مصر وسوريا . . .

أما كونها مسئولية تاريخية فذلك لان الوحدة بعد تحقيقها تكون في حاجة الى حماية وتنمية ، ومهمة حماية الانتصارات تفوق من حيث الاهمية والمسئولية القيمة الحقيقية لاية انتصارات ، لان الخسارة التي تصيب أي نصر تحقق ، لاتعني فقط أن الاستعمار استعاد بعض المراكز التي فقدوها . . . انما تعني نكسة خطيرة تصيب الحركة الثورية كلها ، ولذلك كانت حماية الوحدة أهم من تحقيق الوحدة ، ذلك لان أية نكسة تصيب هذه الوحدة تعني التقهقر الى الوراء كثيرا . . . ربما الى أبعد من مرحلة رفع الشعار . . . يصبح شعار الوحدة بخدذاته في خطر كبير وتصبح الحركة القومية كلها في خطر أكبر أيضا . . . وفوق هذا يصبح المواطن العربي الذي اكتشف ذاته وارادته بعد الثورة عرضة الى الشك بهذه الارادة وفي ذلك خطر لا يمكن تحديد أبعاده .

وكونها تاريخية أيضا يعود الى كون هذه المرحلة في حياة امتنا هي مرحلة مصير ووجود ، وأية انتكاسة خطيرة فيها تؤثر على زمام المبادرة في هذه المعركة الذي أخذ العرب يمشكون به بعد ثورة ٢٣ يوليو .

وكونها قومية يعود الى ان الوحدة بين مصر وسوريا هي نواة للوحدة القومية الشاملة التي يسعى اليها العرب ، عدا عن كونها اكبر اهدافهم واجمل امانيهم ، وأي انتكاس يصيبها بعد تحققها يقلل الى حد كبير من حماس الالتفاف حول شعارها بل ويتيح الفرصة للعناصر المعادية لان تكسب الكثير على حساب هذا الانتكاس . .

وتحمل الرائد العربي المسؤولية التاريخية القومية وهو على علم اليقين بان الاستعمار والصهيونية العالمية والعملاء في المنطقة ثم الشيوعية الدولية تحارب هذه الوحدة وستزداد محاربتها بعد تحققها لان تحققها يشكل خطارا على استراتيجيتها وعلى خططها ومصالحها . .

استراتيجية الاستعمار تقوم على اساس الاحتفاظ بالوطن العربي ثابتا يدور في فلكه بلا ارادة .

واستراتيجية الصهيونية العالمية تقوم على اساس تحقيق حلمها الكبير في سيطرتها على البلاد العربية الممتدة من الفرات في العراق الى النيل في مصر أي فلسطين كلها والاردن ولبنان وسوريا والعراق ومصر .

واستراتيجية الشيوعية الدولية، ان تسيطر على العالم العربي كجزء من اهدافها الرامية الى السيطرة الشاملة على العالم كله .

وتحقق الوحدة بقيادة عبد الناصر الذي تتجسد فيه آماني الامة العربية القومية يعني قيام دولة عربية قوية تهدد الوجود الاستعماري في العالم العربي وفي غيره من الاقطار العالمية ، وتجعل أحلام الصهيونية مستحيلات تفوق استخالة ازالة التناقض الحتمي الموجود بين الشيوعية والرأسمالية ، وتكون عقبة كاداء في طريق زحف الشيوعية الدولية عدا تصفيتها للأحزاب الشيوعية التي تعتبر طلائع الزحف .

لذلك كان الالتقاء غير الارادي بين الاستعمار والصهيونية العالمية من جهة وبين الشيوعية الدولية من جهة أخرى .

ورغم هذا الالتقاء فان عبد الناصر الذي يتحمل المسؤولية القيادية بروح ثورية قبل تحمل مسؤولية تحقيق هذه الوحدة،

بذلك تحقق للعرب هدف كبير طالما منوا أنفسهم به ورفعوا شعاره وجادوا بالدماء والارواح في سبيل بلوغه .

شعاره تنويع جاد وفاق القاهرة في أفريقيا وفوق دمشق في آسيا راية
واحدة تعلن مبادئ دولة كبرى تؤكد ارادة الشعب العربي ، وتحمل
الوحدة تعلن بمؤكد وثيقة على التحدي الذي تجابهه الامة العربية ،
وتسود النضال العربي بكل الامكانيات التي يحتاج اليها في معركة
تحرره الكفاح العربي بكل

تحركوا التنظيم بهذه الراية العربية تاكيدا لانتصار الثورة وفشلا
ذريعتان للذين يجمعهم العناء هذه الثورة ، وترتب على ذلك ارتفاع
في مستوى النضال العناء وهذه الحركة التحرر والوحدة التي تخوضها
الامة العربية النضال العربي ومعرفة

الامة العربية. الامة العربية كلها لهذا الامل الذي تحقق، والتفت
الجمهورية العربية كلها حول هذه الجمهورية التي ولدت لتعظم
التجارية والحديثة المصطنعة وتحمي العظمى من الاستعمار والعملاء
في خربة الوطن من المصطنعة والاذلال الوطن

وتحارب وتعلموا طفر انفس اللاويديعة والانزال جديد ، وكان من الطبيعي ان
ترتفع من هذا المواقف الذي يضم جميع القواعد الصهيونية بين
قديمه ، الشابتين في القاهرة اندي جنوبا ونمشتق شرقا ، فتجرك
للعمل ، يدفعه الى ذلك وجوده الهدى وقاعدته التي تفقد قيمتها
قديمه المتأثرين الى القاهرة وجنوبها ونمشتق شرقا ، فتجرك
وتعجل من غنى التي تحقيق ذلك وجوده الهدى وقاعدته التي تفقد قيمتها
من وراء خطوط المشرق اغربا وجنوبا واليسار لوقف التيسار
التحارب ، وتحل في القوس في انطلاقة الباع من سيرة التقلدية
«حرف تسد» التي تتميز بها انطلاقة اليأس من جرائها هذا التجزئة
لا مثقال ووطنها التي تتميز بها والتو كان من جرائها هذا
لا مثقال ووطنها التي تتميز بها والتو كان من جرائها هذا

[illegible]

حدث ذلك بعد اربعة شهور كاملة يوم ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ عندما تفجرت ارادة الشعب في بغداد تعلن قيام الثورة التي تحولت بعد اسابيع قليلة الى مجرد انقلاب بفعل الانحرافات الخطيرة التي تمادى فيها أولئك الذين بهرهم كرسى الحكم فأضلهم عن طريق الثورة التي بدأوا السير فيها خطوات قليلة مالبثوا بعدها أن تراجعوا وانقلبوا من جديد على الثورة التي انتظرها الشعب العربى وقتا طويلا .

ليس المجال الان ، مناقشة الانحراف الذى جعل من الثورة انقلابا ، أو جعل الانتفاضة التاريخية في العراق يوم ١٤ يوليو تبدأ ثورة ثم تتحول بفعل الانتهازية والوصولية الى انقلاب . وليس المجال كذلك ، مناقشة الدور الخيائى الذى قام به الشيوعيون في العراق ولا الدوافع التي جعلتهم يرضون أن يكونوا الاعيب وأدوات ساذجة يسخرها الاستعمار وعملاؤه لخدمة الأغراض الاستعمارية .

أيضا ، ليس المجال الان للحديث عن حمامات الدم ولا عن ابتكارات السحل والشنق على أعمدة الكهرباء في الشوارع والميادين كذلك ليس المجال الان للحديث عن ثورة الشيوخ في مارس ١٩٥٩ ولا عن المحاولات الثورية التي تكرر حدوثها . ان الحديث عن ذلك رغم أهميته يستعد بنا عن نقطة البداية وهي الأكثر أهمية . . ونقطة البداية هي اشتعال الثورة العراقية وصمودها في وجه تحركات الاستعمار العسكرية .

لقد كانت هذه الثورة مفاجأة كبرى للدوائر الاستعمارية التي كانت تبذل كل جهد مستطاع وكل طاقة ممكنة لان تجعل من بغداد العربية قلعة تنطلق منها الهجمات المعادية للقاهرة العربية ، كان الاستعمار مشغولا بعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا ببناء السدود التي يمكن أن يضعف بها تيار القومية العربية الجارف ، وكان أول هذه السدود هو الاتحاد الهاشمي ويمتد من حدود إسرائيل غربا حتى حدود ايران شرقا أي أنه يخترق العالم العربى الاسيوى من الغرب الى الشرق . وقد تركزت في بغداد وعمان كل آمال وامكانيات الاستعمار الغربى والصهيونية العالمية ، فصمود هذا السد الاستعماري الجديد في وجه التيار الثورى الجارف هو

حماية للوجود الصهيوني المتمثل في الارض المفتتصة في فلسطين العربية ، وحماية للمصالح الاستعمارية والوجود الاستعماري في العالم العربي كله .

ان صمود بغداد وعمان ضد ارادة الثورة العربية يعني بقاء التجزئة وتجميد الوحدة التي زادت من الاخطار المهددة للاستعمار والصهيونية .

لان سقوط أي من البلدين ، او تحرر اي بلد تحررا ثوريا يعني بالتالي تحقق الوحدة التي تعني اقتلاع جذور الاستعمار وتصفية عملائه واحباط كل خطته التي يعدها ضد الوجود العربي . وتحطيم القاعدة الصهيونية التي أوجدتها أداة تحارب التحرر والوحدة وتستنزف الموارد والامكانيات العربية .

وكان العراق بشكل خاص لكونه مركزا لحلف بغداد

الاستعماري والبلد العربي الوحيد المنضم لهذا الحلف ، ثم لكونه مركزا كبيرا لاحتكارات الاستعمار غنيا بموارده وثرواته البترولية والمعدنية ، ومتصلا اتصالا مباشرا بحدود مشتركة او بواسطة خليج العرب مع جميع امارات ومحميات الخليج العربي من الكويت شمالا حتى عدن جنوبا وجميعها مناطق غنية بالبترول الذي تملكه الاحتكارات الاستعمارية . . ثم لكون طبقة العملاء فيه بحكم عوامل كثيرة ، قوية ومتماسكة ، واثبتت بالتجربة قدرتها في السيطرة التامة بالبطش والارهاب على البلاد ، كذلك لكون العراق مجاورا لكل من ايران وتركيا ويشكل معهما في نظر الاستعمار وحسدة استراتيجيته متكاملة ، يعتبر القاعدة الكبرى التي يحتوى فيها الاستعمار ويتخذها منطلقا له ضد الارادة العربية والثورة العربية التي غدا تيارها ، بعد الوحدة بشكل خاص ، يلفح بشدة الاردن والعراق فيحرك المشاعر القومية ويفتح العيون العربية على الواقع المرير الذي تعيشه امة العرب وعلى الاخطار التي تهددها بوجود الاستعمار جاثما متمكنا عن طريق الحكام العملاء والطبقات العميلة والانتهازية ، وبوجود القاعدة الصهيونية .

ومن اجل ابقاء العراق قاعدة للاستعمار ينطلق منها لضرب الحركة الثورية العربية الحديثة ويصد بها التيار الثوري الجارف وضع الغرب كل امكانياته ودعم الى ابعد الحدود وبكل طاقاته حكم

نورى السعيد وعبد الاله والعملاء ، وساهم مساهمة فعالة في عمليات القتل لارادة الشعب العربى هناك ..

وفي يوم ١٣ يوليو كان الوضع العام في البلد العربى ، الذى لا يكاد يتحرر من عميل يتحكم بمقدراته ومصيره حتى يبتلى بعميل جديد ، يبدو هادئا وطبيعيا بدليل ان العملاء الحكام وقتذاك كانوا على استعداد تام السفر الى انقره لحضور اجتماع قمة لرؤساء الدول المنضمة لحلف بغداد ، حلف المعاهدة المركزية اليوم .. ثم يكن احد يتوقع انفجار الثورة . وفجأة وقع الانفجار في البلد الذى كان يهيؤه الاستعمار لان يكون قاعدة انطلاق له يضرب بها المد الثورى العربى ، في العراق الذى كان الاستعمار بفعل البطش والارهاب ووسائل الحكام العملاء في التنكيل بالشعب والجيش يعتقد جازما بانه امله الوحيد في ابقاء الوحدة العربية الشاملة مجرد شعار ترفعه الجماهير العربية ، ليؤكد ثورة الارادة العربية على التحدى الذى تواجهه .

ولم تكن بغداد وحدها التى هزها هذا الانفجار ، الامة العربية كلها اهتزت له .. وامتد صدى الى كافة انحاء العالم ، بل ان العالم كله تأثر بهذا الانفجار الذى عبر عن الارادة العربية بالمفهوم الثورى الحديث الذى يؤمن به العرب .

كان الانفجار ولاشك وليد الثورة العربية ، وامتدادا لهذه الثورة . فهو من جهة تنمة للثورة الكبرى التى انطلقت من القاهرة عام ١٩٥٢ توقظ الامة العربية وتبعث فيها الحياة والقوة ، فالامة العربية الواحدة رغم تجزئتها تتأثر كل التأثر ، المباشر واللامباشر بالانتصارات التى يحققها الجزء الواحد او النكسات التى تصيب الجزء الواحد منها ، وذلك بفعل المصير المشترك الذى يفرض حتميته على هذه الامة .. ومن جهة اخرى نابع من الثورة الكبرى متصل ومتأثر بها .. لولا ثورة ٢٣ يوليو في القاهرة لما كانت ثورة ١٤ يوليو في بغداد ، لما جازف الثوار العرب بعد سلسلة الفشل التى أصيبت بها الحركات الثورية في العراق والتى كانت ثورة رشيد عالي الكيلانى عام ١٩٤١ قمتها والتى أعقبتها عام ١٩٤٦ الانتفاضة الشعبية ضد معاهدة بورتسموث ، في بلد يعتبر قاعدة كبرى من قواعد

الاستعمار في الشرق ، ومحاطا بدولتين شريكتين معه بحلف بغداد ،
ومرتبطا مع بريطانيا صاحبة المصالح والخبرة بارتباطات مصرية
كثيرة ، لولا التجربة الثورية الناجحة التي ابتدأت عام ١٩٥٢ ، ثم
اولا الحماية اللازمة الثورة تتفجر في قلعة من قلاع الاستعمار تتأثر
بها ولاشك استراتيجية الاستعمار وخطته ، ومحاطه بالاعداء ،
اعداء الثورة والتحرر ، من جهات كثيرة ، لما قامت هذه الثورة
او على الاقل لما كتب لها البقاء .

لقد اثبتت الاحداث بالتجربة بان ثورة ٢٣ يوليو التي كانت
الوحدة من ثمارها الياقة هي التي حمت ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨
التي فجرتها الارادة العربية في بغداد .

كان الرئيس جمال عبد الناصر الذي تتجسد فيه آمال الامة
العربية كلها وتلتف حوله الجماهير العربية كلها ، وقت تفجر
الثورة يقوم بزيارة ليوغسلافيا الصديقة ، وفورا ، فور سماعه
انباءها مارس مسؤوليته القومية التي يتحملها بكل معاني الاخلاص
والامانة ، اخذ على عاتقه وعاتق الجمهورية العربية الفتية مسؤولية
حماية هذه الثورة ، قطع زيارته واتجه الى موسكو ، وكان قبل
سفره للاجتماع مع خروشوف قد اصدر امرا بوضع كل الامكانيات
العربية تحت تصرف الثورة العراقية . . وعاد من موسكو الى
دمشق ليتولى بنفسه وعن كعب قيادة الامة العربية في معركتها
الجديدة التي تخوضها مع الاستعمار والصهيونية العالمية .

لم يكن الرئيس العربي هو الوحيد الذي كان يتحرك بسرعة
مذهلة في تلك الاثناء ، كان الاستعمار الذي اذهلته المفاجأة يتحرك
هو الآخر بسرعة مذهلة ايضا مع فارق بعيد كل البعد ، متناقض
كل التناقض في اسباب ودوافع حركة عبد الناصر وحركة الاستعمار ،
دافع حركة عبد الناصر كان لحماية الثورة ، ودافع حركة الاستعمار
كان لضرب الثورة في المهد قبل ان تتمكن من اقتلاع جذوره باقتلاع
جذور عملائه وتزرع في الارض العربية جذورا جديدة متحررة .

تحركت القوات العسكرية واساطيل الحرب التي يملكها الغرب
واشتركت امريكا في هذه التحركات لانها اعتبرت ثورة العراق
ليست تهديدا للمصالح الاستعمارية ونفوذ الغرب في الشرق العربي
وفي العراق بشكل خاص فحسب ، انما اعتبرت نفسها لسفلا لاستراتيجية

امريكا

الغرب التي تبني عليها خطط مقاومتها للشيوعية الدولية، وامريكا حساسة كل الحساسية بكل ما يتعلق بقواعد استراتيجيتها واحلافها التي تشكل بها حزاما حول الاتحاد السوفيتي الى درجة انها تجازف بالحرب في سبيل الاحتفاظ بهذا القواعد .

عدا هذا العامل الهام ، كان هناك عامل كبير الاهمية ايضا هو ان أمريكا اعتبرت الثورة العراقية خطرا كبيرا يهدد وجود الكيان الصهيوني ، وتحرص أمريكا كل الحرص على حماية هذا الوجود ، وهي في سبيل ذلك تحارب الوحدة العربية او أية خطوة يمكن أن يكسب العرب من جرائها قوة ، كما أنها في سبيل هذه الحماية حاربت ثورة ٢٣ يوليو بكل أسلحتها وامكانياتها المادية وحاولت بشتى الوسائل قتل مشروع السد العالي لانه يزيد من قوة العرب فيزداد بذلك الخطر على اسرائيل ربيبة أمريكا .

اعتقدت أمريكا جازمة بان المد الثوري الذي اطلقه عبد الناصر عام ١٩٥٢ والذي كانت الوحدة وقتذاك عام ١٩٥٨ قمة مابلغ ، بدأ انطلاقة جديدة من شأنها ان هي استمرت دون ضرب فوري ان تهدم كل قلاع الاستعمار في العالم العربي وأن تجعل من اسرائيل عبرة لكل اعداء العرب . . وخشيت ان يسقط الطرف الثاني من الاتحاد الهاشمي بسرعة مذهلة كما سقطت بغداد ، ولذلك فانها تضامنت في العمل مع بريطانيا .

وتحركات الدولتان في وقت واحد ، لضرب ثورة العراق ، والثورة مازالت محصورة في بغداد ، والسيطرة لم تتم لها على كل العراق ، والاعداء يحيطون بها من كل جانب اللهم غير جانب واحد يتصل بالاقليم السوري من الجمهورية العربية المتحدة .

في الوقت ذاته ، وكجزء من خطة الضرب الفوري ، أصدرت الدولتان الاوامر للعملاء في الاردن ولبنان . . فانطلقت من عمان صيحة استفائة تطالب بقوات بريطانية تحمي العرش ، وانطلقت من كميل شمعون في بيروت صيحة استفائة أخرى تطالب بقوات أمريكية تخميه . . لم يكن القصد بالطبع حماية العرش الاردني ولا حكم شمعون فحسب ، كان ذلك ولا ريب جزء من الخطة ، ولكنه الى جانب ذلك كان يقصد انزال القوات الامريكية والبريطانية للزحف على العراق لضرب الثورة هناك ، ونزلت القوات الامريكية

في لبنان ففدت بذلك على الحدود الغربية للاقليم السوري الذي يمثل الحماية الوحيدة الاكيدة لثورة العراق المتفجرة ، وكان على امتداد هذه الحدود في الشمال الغربي الاسطول الامريكي السادس . . كذلك نزلت القوات البريطانية في الاردن ، ففدت بذلك من جهة الجنوب على حدود الاقليم السوري . . وتحركت قوات حلف بغداد ، قوات ايران وتركيا ، لانقاذ القلعة التي تهاوت والعملاء الذين سقطوا .

ورد عبد الناصر على جميع هذه التحركات بامر دعا فيه الى التعبئة العامة ، ثم هبط فجأة في دمشق ليتولى القيادة في معركة المصير التي تخوضها الامة العربية . . لقد اعتبر ثورة العراق ثورة الامة العربية من اجل التحرر والوحدة ، واعتبر تحركات امريكا وبريطانيا تحديا للامة العربية وارادتها ، لذلك قرر أن تكون معركة حماية الثورة معركة مصير . . وبمستوى هدم المعركة تحمل عبد الناصر المسؤولية والقيادة . . . واعلن وهو يعبى كل امكانيات الجمهورية العربية المتحدة لحماية الثورة بان كل اعتداء على العراق انما هو اعتداء صريح على الجمهورية العربية المتحدة تصده هذه الجمهورية بقواتها وامكانياتها العسكرية والشعبية والمادية والمعنوية ، وأكد عبد الناصر بانه جاد كل الجدية في مايقول كما أكد بانه لن يسمح لاسرائيل أن تستفيد من الموقف المتأزم .

وازاء ارادة عبد الناصر التي عرف الغرب ، بالتجربة العملية مدى قوتها وصلابتها ، توقفت التحركات العسكرية الغربية عند حدود الاقليم السوري وعلى مقربة من حدود العراق لانها خشيت أن تؤدي محاولتها في ضرب الثورة الى حرب يمتد لهيبها الى كل جزء من اجزاء الوطن العربي وربما تعدها الى حرب عالمية شاملة

وخيم على العالم وقتئذ شبح الحرب الذرية ، ولم يخش عبد الناصر الاسلحة الذرية التي تملكها امريكا وبريطانيا ، ولم يخش كذلك احاطة الاعداء به وهو في دمشق من كل جانب حول الاقليم السوري ، فبقى صامدا في وجه التحركات العسكرية الضخمة يؤكد اصرار الامة العربية على حماية انتصاراتها لانها بهذا الحماية انما تحمي وجودها . وكانت المعركة بالفعل في هذا المستوى ، اذ

لو أن القوى الاستعمارية نجحت في ضرب الثورة وفي استعادة السلطة لكانت بذلك قد نجحت في تهديد الوحدة ، أضخم انتصارات ثورة ٢٣ يوليو وإرادة الشعب العربي ، تهديدا مباشرا قويا ، ولكانت كذلك في وضع يمكنها من اغتنام الفرصة لتوجيه ضربات أخرى لكل الانتصارات التي تحققت وعجزت عن إلحاق الأذى فيها . ثم لتمكنت من جديد فرض سيطرتها وأسلوب حكمها الإرهابي على العالم العربي كله عن طريق العملاء والانتهازيين .

ولكن مشيئة الاستعمار عندما تصطدم بإرادة عبد الناصر إرادة الأمة العربية ، ترتد خاسرة متهالكة تجر وراءها أذيال الخيبة والفشل .

هكذا كان الحال في كل مرة اصطدمت فيها مشيئة الاستعمار بإرادة عبد الناصر ، واستمرارا لذلك الحال الذي اعتاده الاستعمار خسرت أمريكا وبريطانيا معركة حماية ثورة العراق فلم تجسروا على التدخل المسلح . . بل انهما اضطرتا بعد قليل أمام إصرار عبد الناصر على سحب قواتهما من الأردن ولبنان وكان بائس حابهما نهاية المعركة بفوز ساحق للإرادة العربية .

هنا لابد من الوقوف قليلا لتبيين الموقف والمصير الذي كان يمكن أن تلقاه ثورة العراق والأمة العربية كلها لو لم تكن ثورة ٢٣ يوليو والوحدة الخالدة وعبد الناصر القائد والرائد .
أولا - في حالة افتراض قيام الثورة في ظروف عربية غير الظروف التي كانت متوفرة وموجودة ، وهي وجود ثورة قومية ووحدة قوية ، فإن احتمال نجاحها أو احتمال صمودها من الناحية النسبية أقل بكثير من احتمالات الفشل ، الدليل على ذلك سلسلة الثورات والانتفاضات التي وقعت في العراق في تاريخه الحديث والتي انتهت كلها إلى فشل ذريع . .

ثانيا - توفر الحماية اللازمة لهذه الثورة كان يمكن اعتبارهم المستحيلات لأن هذه الحماية لا يمكن أن تتوفر إلا في الكتلة المناوئة للغرب ، أي في الاتحاد السوفيتي ، ولا يعقل أن يجازف الاتحاد السوفيتي بتدخل مسلح يؤدي حتما لو أنه يحدث إلى حرب عالمية شاملة لحماية ثورة مازال مصيرها واتجاهها في كفة القدر ناهيك عن عدم وجود حدود مشتركة بينهما .

ثالثا - ان العراق بحكم موقعه الجغرافي يكون في هذه الحالة المفترضة محاطا بالاعداء الاقرباء دون أن يكون له صديق واحد .
يقدر على المساندة والحماية فيسهل بذلك القضاء على الثورة .

رابعا - ان قواته حلف بغداد كان يمكنها أن تتدخل مستندة الى نصوص الحلف ، بل كان يمكن لأمريكا وبريطانيا أن تتدخلتا بسرعة وتضعوا العوائق كله تحت الامر الواقع . . ثم تنسحب أمام ضغط الرأي العام العالمي ولكن بعد أن تكونا قد أوجدنا عناصر جديدة من العملاء لها قدرة امتصاص النعمة الشعبية ، أو لها قدرة الاستمرار في حكم البلاد بطريقة نوري السعيد .

خامسا - كان يمكن للجيش الاردني بحكم موثيق الاتحاد الهاشمي الذي كان يضم الاردن والعراق أن يلعب دورا كبيرا وفعالا بمساندة الانجليز وقوى الغرب في ضرب الثورة دون أن يكون هناك حق في التدخل بحجة أن الذي يحدث في العراق هو صراع داخلي لا يتعدى حدود الاتحاد الهاشمي .

من خلال هذه النقاط الخمس يمكن أن نصل الى القيمة الكبرى والدور التاريخي الذي اضطلعت به الجمهورية العربية المتحدة وتحمل مسئوليته الرئيس عبد الناصر . . . أو أن هذه الجمهورية لم تكن موجودة أو لو أن الوحدة كانت مجرد شعار ، ثم لو أن عبد الناصر ليس القائد لهذه الامة ، لكان المصير الذي ينتظر ثورة ١٤ تموز العراقية حالك الظلام ، لان الاستعمار كما برهن بالعمل وسرعة التحرك كان شديد الحرص على الاحتفاظ بالعراق قاعدة له وقلعة من قلاع استراتيجيته . . .

ان الاحداث التاريخية تؤكد بان ثورة ١٤ يوليو رغم ما أصابها من نكسات كانت وليدة ثورة ٢٣ يوليو تتصل بها وتشكل امتدادا تاريخيا وقوميا لها ، وهي لذلك جزء من ثورة الوجود العربي التي اكتشف بها العرب أنفسهم واستعادوا بها قوتهم واهتدوا بها من جديد الى رسالتهم الانسانية يساهمون بها في تدعيم السلام في العالم .

في المجال الدولي

المجتمع العربي ليس في مصر وحدها ، انما في العالم العربي كله كان واقعه قبل ثورة ٢٣ يوليو يهدد الوجود العربي الى حد خطير خاصة بعد أن أصبح الوجود الصهيوني مقيما في الوطن العربي . وكان سر التهديد يكمن في أن الوجود العدواني الذي يتخذ من الاراضى المفتصبة في فلسطين رأس جسر له لم يكن يلقي من الوجود العربي المقاومة الكافية لصد تياره الهادف الى التوسع والسيطرة واحتلال المزيد من الاراضى العربية ، ذلك لان المجتمع العربي لم يكن لا من حيث الوعي القومى ولا من حيث التحرر ولا من حيث مستوى النضال ، قد بلغ الحد الذى يمكنه تحمل مسؤولية في مستوى معركة الوجود الصهيوني والاستعمار الغربى . . . بل ان واقع المجتمع العربى كما سنرى بعد قليل كان عاملا في نجاح الاستعمار والصهيونية العالمية باغتصاب فلسطين واقامة قاعدة عدوانية فيها أهم من جميع عوامل التآمر التى توفرت للاستعمار والصهيونية على السواء .

لو أن المجتمع العربى قبل ثورة ٢٣ يوليو كان مجتمعا متماسكا واعيا متفهما لمسئوليته ، واعيا لما يدبر له ، قادرا على الاستفادة من الاسلحة التى يمسك بها كالبترول مثلا ، لما نجح الاستعمار فى تأمره ، ولما نجحت الصهيونية العالمية فى اقامة قاعدة لها فى الوطن العربى . . . بل ولما كانت هناك ضرورة لثورة ٢٣ يوليو لندلل على ذلك بحوادث تاريخية ملموسة عشناها ونستمتع اليوم بحلاوة ذكراها :

بعد أن قامت الثورة ونجحت فى اقتلاع جذور الفساد وتطهير المجتمع العربى والقضاء على عوامل فساد وفساده كالحزبية والاقطاع والانتهازية والمصلحية والطبقات العميلة ، تمكن هذا المجتمع الجديد من تحقيق انتصارات ضخمة ملاءمها أرجاء العالم ، ثم تمكن من حماية نفسه من سلسلة المؤامرات الطويلة

التي ما زال يدبرها أعداء أمتنا . . أن كل واحدة من هذا المواقف
التي تحبط وتفشل في أداء مهمتها لو أنها كانت تدبر قبل الثورة
لكانت تحقق كل أغراضها ، بل يمكن القول بأن واقع ما قبل
الثورة لم يكن يدعو الاستعمار إلى التآمر من أجل الوصول إلى
أغراضه .

كانت الحكومات العربية كلها ، اللهم غير سوريا التي كانت
تمارس استقلالها الفتي وتتفرغ لمشاكلها الداخلية الكثيرة من
تطاحن حزبي إلى تسلط الاقطاع والرأسماليين على الحكم ، لا يعدو
كونها مجرد أدوات يستخدمها الاستعمار في تأكيد وجوده والوصول
إلى أهدافه . . . حكومات مصر قبل الثورة كانت كلها من ذلك
النوع بدليل أنها كلها عجزت عن ممارسة الاستقلال وتحقيق الجلاء
وتحرير المواطن من قيود وسلاسل الاقطاع والعبودية . . .
والحكومات العربية الأخرى في شتى الأجزاء العربية كانت في مستوى
حكومات مصر قبل الثورة من حيث العمالة والفساد إن لم تكن
أسوأ منها . . .

ولقد كانت تلك الحكومات في كثير من الأقطار العربية ومصر
أحداها ، تصل إلى الحكم عن طريق الأحزاب ، ولم تكن الأحزاب
في مجتمع مفكك متفكك ، هدته رواسب الماضي السحيق ، غير
انعكاس لواقعه وقتذاك . . . فكانت أحزابا فاسدة مفسدة تتكون
من عناصر فاسدة مفسدة . لذلك فإنها كانت القمة في الفساد
والإفساد ، تضم شخصيات وفئات مصلحة وانتهازية تهمها
مصلحتها بل تضع مصلحتها فوق مصلحة الوطن والشعب ، الأمر
الذي جعلها أحزابا مصلحة انتهازية تتصارع من أجل كرسى الحكم ،
تتخذ من ذلك الكرسى وسيلة لتحقيق أغراضها والوصول إلى
غاياتها .

إن نظرة فاحصة إلى التكوينات التي كانت تقوم عليها الأحزاب
وتاريخ تلك الأحزاب تؤكد لنا ولا شك بأن الأحزاب فشلت فشلا
ذريعا في قيادة الجماهير الشعبية وفي الارتفاع بمستوى النضال ثم
في بلوغ هدف من الأهداف الكبرى . . . لم يتمكن حزب واحد
أن يكسب ثقة الجماهير لأنه ما من حزب واحد وصل إلى الحكم
إلا وتنكر للشعارات التي رفعها ونادى بها ، ومرد ذلك يرجع إلى
مستوى الأحزاب ، إذ أن كل حزب كان يتكون بدوافع مصلحة

او بدوافع المنافسة الشخصية من الفئات القادرة على المنافسة الساعية وراء مصالحها ، وكانت تلك الفئات تمثل رجال الاقطاع والرأسماليين وكبار التجار وذوى المصالح الكبيرة ، ويستحيل على مثل تلك الفئات أن تعمل من أجل تحرير المواطن أو تحرير الوطن ، بل كان يستحيل عليها أن تعمل من أجل المصلحة القومية أو الوطنية، لأنها كانت تهتم بمصالحها وحماية هذه المصالح التى تتناقض مع مصلحة الشعب . . لا يعقل مثلاً من رجل اقطاعى أو باشا أو رأسمالى صاحب مصلحة كبيرة أن يكون صادقاً فى محاربة الاستعمار والفساد ، لان التحرر من الاستعمار والقضاء على الفساد يعنى بالبدية خسارة كبرى لكل اقطاعى وكل ذى مصلحة ، وأتاحة الفرصة أمام الإرادة الشعبية لان تنطلق ، وأكثر ما كانت نخشاه او تخول دونه تلك الأحزاب بعناصر تكوينها الانتهازية والمصلحية هو ان تنطلق الإرادة الشعبية من عقائدها . لذلك كانت تعمل على خداع الجماهير الشعبية برفع الشعارات الخادعة أو ارتداء الأقنعة الكاذبة أو فى التظاهر بالوطنية المتطرفة التى تجتذب الجماهير المحرومة المكبوتة ارادتها ، وأكثر ما كانت تظهر الأقنعة الخادعة والشعارات الكاذبة فى الفترات الانتخابية بغية الحصول على الاصوات التى تكفل لها الوصول الى كرسى الحكم . . .

هنا تبرز نقطة هامة تكشف عن مدى التفسخ الاجتماعى وتسلط العناصر الاقطاعية والمصلحية على ارادة الجماهير والاستهتار بقديسية المواطن وحقوقه الانسانية . . لم يكن الفلاح ، وهو فى المجتمع العربى يشكل الغالبية العظمى ، بسبب سيطرة الاقطاع عليه من جهة وعامل الخوف من حرمان أشد من الحرمان الذى يعيشه من جهة أخرى ، ورواسب الماضى والجهل من جهة ثالثة، فى وضع يمكنه من ممارسة حقوقه السياسية أو أى حق طبيعى له ، لذلك كان انفلاخون فى الاقطاعية الواحدة بدون ارادة ، يتحركون وفق أهواء السيد الاقطاعى أى ضد مصالحهم وحقوقهم . . كذلك لم يكن العامل الواقع تحت تسلط صاحب العمل المهدد بالحرمان والطرده الحسن حالاً من الفلاح الذى يعيش بدون حماية الدولة بل وبدون رعاية لشئونه ، فكان صوته الانتخابى فى يد صاحب العمل . . كذلك كان الحال فى كافة القطاعات والمرافق العمامة . . .

الى جانب ذلك كله ، كانت القوانين الرجعية في يد الحكومات تستغلها ضد ارادة الشعب لتأكيد مصالحها وحماية مكاسبها الانتهازية ، وتستوى في ذلك جميع الحكومات الحزبية وغير الحزبية ، بل أن الحكومات الحزبية تتحمل مسئولية تاريخية في الاستهتار والتهاون والمخادعة أكثر من غيرها ، لأنها الى جانب تنكرها لوعودها كانت تعمل على خداع الشعب بشعارات ترفعها وتعمل بالتالي على امتصاص النعمة بتلك الشعارات الكاذبة المخادعة

ان تاريخ الاحزاب والحكومات الحزبية في عالمنا العربي هو تاريخ مشين ولا شك ، يؤكد فشل الحزبية فشلا ذريعا وتاريخيا ويؤكد بالتالي فشل رجال السياسة لكونهم في بلادنا من عناصر تشدها مصالحها المتناقضة مع مصلحة الشعب الى التقارب ومهادنة الاستعمار والحكام والعملاء الذين يسندهم الاستعمار أو يستندون اليه ويحتمون بخرابه ويحكمون بنفوذه .

غير هذا ، كان المجتمع العربي ، بحكم تفرغ الحكومات والاحزاب لحماية مصالحها مهما كل الاهمال من اية عناية بشئونه . . لم تكن هناك سياسة تعليمية أو مدارس كافية لاستيعاب الطلاب ، بدلا من ذلك ، كانت هناك سياسة تقليدية للحكومات المتخاصمة المتنافسة تقوم على الاخذ بمبدأ التجهيل أي بابقاء الشعب جاهلا لا يعرف من أمره شيئا ، ومبدأ التجهيل هذا سياسة استعمارية عرفت بلادنا كلها كما عرفت بها البلاد الاخرى التي ذقت مرارة الاستعمار . . . الغرض منه ابقاء الشعب غير واع على واقعه المرير ، وغير متفهم لمسئوليته وواجباته ، وبقيت الحكومات تاخذ بها ارضاء للمستعمر من جهة وحماية لاحتكارها السياسي من جهة أخرى . كانت تلك الحكومات تحتكر العمل السياسي وهي بذلك شأن كل محتكر ضد ظهور متنافسين أقوياء لاحتكاراتها . . لذلك كانت ضد التعليم وضد توعية الجماهير ، لان تعميم التعليم يتيح المجال للكفاءات الشعبية أن تبرز وتظهر ، ومن هذه الكفاءات تلمع شخصيات تكتشف خداع الاحزاب واختلاساتها وفسادها وتلمس باليد كما ترى بالعين الفرق البعيد بين رجال السياسة المترفين وبين الشعب الجائع المريض المحروم ، فترتفع البصريحات التي من شأنها أن توقظ الشعب على الفساد وعلى واقعه فيبدأ في التطلع الى خيراتة المسلوبة وحقوقه الضائعة ، ثم ياخذ في المطالبة بتلك

الخيرات والحقوق ، وتتطور المطالبة بفعل التوعية التي ينميها التعليم والثقافة لتأخذ طريق النضال وتحديد الاهداف التي يعنى بلوغها نهاية الاحتكار السياسى ، اى نهاية حكم الفساد والانتهاز والمصلحية والعملاء .

ثم كان المجتمع العربى عبارة عن فئات قليلة تملك كل شىء ، الخيرات والمصير والسياسة والتعليم والترف ، وغالبية كبيرة لا تملك دموعا تذرفها أو عرقا تسكبه أو دماء تنزفها .. وكانت الفئات القليلة بحكم مصالحها ومصيرها المشترك مرتبطة بمصالح ومصير الاستعمار ، فكان يعنى حكم هذه الفئات وجود الاستعمار ونفوذه ومصالحه واحتكاراته ، وكانت الغالبية الكبيرة بحكم واقعها وحرمانها فى تناقض حتمى مع الفئات التي تستغلها وتستبد بها وتستعبد لها وتمتص دماءها ، وكان معنى التناقض أن يكون هناك تصارع بين الاطراف المتناقضة ، بين الفئة القليلة التي تحكم وتستثمر وتستبد ، وبين الغالبية الكثيرة التي تعمل ثم لا تجد عيشا يشبع معدتها أو يسكت صراخ أطفالها ، وقد كان التصارع موجودا رغم قوة الفئة الحاكمة التي كانت تتخذ من الحكم وسيلة لارهاب الفلاح والعامل بدل أن تتخذه وسيلة لحماية المواطن من الظلم والقسوة .

أيضا ، كان المجتمع العربى بفعل تهاون الحكام وارتبساطهم المصيرى بالاستعمار ، ويفعل مساومات الاحزاب فى سبيل الوصول الى الحكم الذى كان امره بيد الاستعمار ، قد تحول الى مزرعة كبيرة يملكها الاجنبى .. ونتج عن ذلك أن أصبحت خيرات البلاد ومرافقها العامة ومصادر الثروة بيد احتكارات اجنبية . وتمكنت تلك الاحتكارات من أن تجعل مصير البلاد الاقتصادى بيدها فتحدد الانتاج وكان كله انتاجا زراعيا ، وتتحكم فى الاسواق وتسيطر على التجارة الخارجية والداخلية .. وعن طريق هذا التسلط الذى استمر يتزايد بسبب اشتداد المنافسة بين الاحزاب وتهالكها للوصول الى كرسى الحكم .. ثم بسبب خيانات الحكام الذين كانوا يمعتون فى تمكين النفوذ الاجنبى لاعتقادهم أن فى ذلك تمكينا لهم ، غلبت مقدرات البلاد بيد الاجنبى ، وغدت الاحزاب أدوات يستغلها الاجنبى لتحقيق اغراضه الكثيرة .. وكانت من أهم اغراض الاستعمار فى وطننا أن يبقى هذا

الوطن الكبير سسوقا لانتاجه . . من أجل ذلك لم تقم في وطننا كله صناعة واحدة رغم وجود أعلى نسبة من بترول العالم وكميات كبيرة من المعادن والمواد الأولية اللازمة للصناعة فيه . ولم تحاول الأحزاب التي تعاقبت الحكم محاربة هذه السياسة الاستعمارية الهادفة الى إبقائنا في حاجة مستمرة وأبدية لصناعاته وخبراته الفنية ، فبقيت بلادنا تنتج القطن وتبيعه رخيصا وبثلثين بخس الى انجلترا لتصنعه قماشاً نشتره بأسعار مضاعفة ، كذلك الحال بالنسبة لقصب السكر ولكافة المنتجات الزراعية القابلة للتحويل الصناعي . . حتى البترول الذي تبلغ أرباح العالم العربي منه عدة مئات الملايين من الجنيهات الاسترلينية رغم أن نسبة هذه الأرباح مخفضة ، يصدر اثنى الخارج خاماً ثم نشتره مكرراً . . وأبعد من هذا ، كان الاحتكار الاجنبي لضمان سيطرته الاقتصادية قد ربط تصريف المنتج به وحده ، فتصدير القطن مثلاً رغم أنه بيد الاحتكارات الاجنبية بقي في الوقت ذاته يعتمد على سسوق واحدة هي بريطانيا وفي ذلك خطورة بالغة تجعل لبريطانيا المستوردة الوحيدة تأثيراً كبيراً ومباشراً على سياسة الدولة الخارجية والداخلية على السواء ، اذ أنها تكون في وضع يجعلها تهدد الاقتصاد القومي بالامتناع عن الاستيراد والتلاعب في الأسعار في حالة اتباع سياسة تتعارض مع الابعاد المحددة لسياستها .

ولم تظهر في عالمنا العربي قبل عام ١٩٥٢ حكومة واحدة رغم الشعارات الكثيرة التي كانت ترفعها الأحزاب في المراكز الانتخابية حاولت أن تبذل جهداً متواضعاً لتحرير الاقتصاد العربي والاستفادة من الخيرات السكثيرة باقامة صناعات محلية تغني المواطن العربي عن الصناعة الاجنبية التي بانتعاشها تحل مشكلة البطالة في الدول الاجنبية ويزداد استحكامها في عالمنا . .

وعن طريق التحكم في الاقتصاد . . ومن خلال الفساد والحزب الفاسد والحكام الخونة ، كان النفوذ الاجنبي يزداد قوة ، وكان المجتمع العربي يزداد تفسخاً وتفككاً وضعفاً وعدم مقدرة على صد سيل الهجمات التي يتعرض لها .

في مثل ذلك الواقع كان لابد لذوى المصالح والاقطاعيين والراسماليين أن يكونوا في سبيل المحافظة على مصالحهم أدوات يستخدمها الاستعمار لتنفيذ مآربه السكثيرة المتنوعة . . كان ذوو

المصالح يتحركون وفق خطط الاستعمار ، بعضهم يرفع الشعارات الخادعة ويتخذ موقف المعارضة ، وبعضهم الآخر يتسلل الى صفوف الشعب في مهمة تضليلية ، وبعضهم يعمل ضد ارادة الشعب بدون قناع ، وبعضهم الاخر يعمل يقناع كاذب خداع .. . وكان الكل فريق منهم دور يمثله ومهمة يؤديها ، فريق المعارضة يتولى الحكم بعد وصول النعمة على الحكومة القائمة حدا يهدد بالانفجار ، فتكون مهمته في هذه الحالة امتصاص تلك النعمة وتهدة الشعور الوطني دون أن تتأثر السياسة العامة التي يريدونها المستعمر في شيء أو يصيبها أي ضرر ، وفريق التضليل مهمته صرف الشعب عن أهدافه باشغاله في قضايا وهمية مصطنعة .. . كذلك الحال بالنسبة لكل فريق من العملاء .. . ولم يظهر في المجتمع العربي الذي يسوده الفساد وتتحكم فيه المحسوية وتحكمه العناصر العميلة والاحزاب الفاسدة حركات قوية قادرة بنموها الجماهيري وفلسفتها العقائدية وشخصياتها التنظيمية وطنية ومسلكا على توعية الجماهير وتمزيق الوردية الخادعة التي ترتديها عناصر كثيرة وأحزاب متعددة كثيرة، خاصة قبل عام ١٩٥٢ لاشتداد قبضة الرجعية العربية والاستعمار والطبقات العميلة وانعدام القوة الثورية السائدة .

في ذلك المجتمع ، لم تعرف بلادنا غير الضوضائية مظهرا من مظاهر النضال . لم يكن قد ظهر غير حزب واحد وصل مستوى تحمل مسئولية وطنية أو قومية أو في مستوى تحمل مسئولية النضال الذي يعتمد على الجماهير الشعبية ويؤمن بفاعلية وقدره هذه الجماهير على تحقيق انتصارات وطنية ويتخذ منها قوة كبرى يعبئها بالوعي والارادة ضد الاستعمار والحكم الفاسد .

في ذلك المجتمع أيضا ، لم تعرف بلادنا استراتيجية العمل النضالي ، كان النضال الشعبي عفويا لا يستند إلى أي مخطط أو أية خطة .. . يعتمد على العواطف الجياشة والفورات الوطنية التي تعتمل في النفوس

كذلك لم تعرف بلادنا في ذلك المجتمع وحدة النضال رغم وجود المشاعر القومية . مثلا كان نضال شعب فلسطين غير مرتبط بنضال الشعب العربي في الاردن .. . وقد أثر ذلك ولا شك على معركة التحرر التي تخوضها الامة العربية مخجزة في أوطانها .

الامر من كل ذلك ان عالما العربى بقى يعيش تلك الفترة الهامة بدون زعامة شعبية نظيفة مخلصه أمينة . . لم يظهر فى أى قطر عربى زعيم شعبى له قدرة تعبئة الجماهير واستغلالها فى النضال العربى أو دفعها دفعا ثوريا نحو التحرر الحقيقى . . ظهرت زعامات مختلفة فى أكثر من بلد عربى ولكن لم يتوفر لاي منها التجسرد والوطنية الصادقة ، والجرأة الثورية والصلابة وامكانية تجسيد آمال الامة . . ان جميع الزعامات التى ظهرت كانت تعتمد على إثارة الجماهير بالكلام والخطب الرنانة دون ان تقدر زعامة واحدة منها على تحقيق مطلب واحد من المطالب الشعبية أو بلوغ هدف واحد من الاهداف . . القومية أو الوطنية .

لم يتمكن زعيم واحد فى العالم العربى كله أن يعبئ الشعب العربى تعبئة صادقة ضد الوجود الصهيونى الذى يشكل اليوم الخطر الحقيقى الذى يجابهه الوجود العربى ، والتحدى الحقيقى الذى تجابهه الامة العربية .

ولم يتمكن زعيم واحد أن يحقق الجلاء لاي قطر من الاقطار العربية الكثيرة ، أو ينهى التبعية أو يلغى المهادنة غير المتكافئة التى كانت ترتبط بها البلدان العربية مع بريطانيا أو فرنسا أو غيرها من الدول الاستعمارية . .

ولم يتمكن زعيم واحد أن يرتفع بالنضال العربى الى مستواه القومى ، فبقى نضالا اقليميا رغم وجود المشاعر القومية تعمير القلوب العربية .

ولم يتمكن زعيم واحد أن يحرر الفلاح من عبودية الاقطاع ، وأن يوفر للشعب حق التعليم أو حق العلاج المجانى أو حق الحياة . . وأن ينقذ الاقتصاد من المخالب الاستعمارية الاجنبية ويعيد الاحتكارات الى ذويها .

ولم يتمكن زعيم واحد أن يخمل معول الهدم يهد به الفساد والمجتمع الفاسد ليبنى مجتمعا تسوده العدالة وتظله الطمأنينة .

ولم يتمكن زعيم واحد أن يجعل شعارا واحدا ارتفع عملا حقيقيا يلمسه الشعب رغم أن الشعارات التى ارتفعت كثيرة .

ولم يتمكن زعيم واحد أن يفجر الارادة العربية لتدك قلاع الاستعمار وتصد الاخطار التى تتعرض لها الوطن العربى بفصل

تآمر الاستعمار والصهيونية العالمية والشيوعية الدولية ضده .

ولم يتمكن زعيم واحد أن يهدم معقلا واحدا من معاقل الاستعمار ، أو يسقط حاكما عميلا من عملاء الاستعمار وركائزه ، أو يكشف القناع عن فئة واحدة من عناصر الخيانة المتآمرة ضد سلامة المجتمع والوطن ..

ولم يتمكن زعيم واحد أن يرد للشعب الجائع المحروم حقها واحدا من حقوقه الكثيرة المسلوبة .
وكذلك لم تتمكن الأحزاب أن تقوم بدور الزعيم ..

اذن ، لا يجوز لنا والحالة هذه أن ندعى بظهور زعيم في عالمنا العربي قبل ثورة ٢٣ يوليو ، لو فعل ذلك ، لو نجيز لأنفسنا الادعاء ، نكون قد تجنينا على التاريخ ودجلنا على أجيالنا العربية الصاعدة وكذبنا على أنفسنا .

ذلك كان حال المجتمع العربي قبل ثورة ٢٣ يوليو ، فئة قليلة تحتكر خيرات البلاد وسياستها ومصيرها وترتبط مصيرا ووجودا بالاستعمار .. وغالبية كبيرة جاهلة بدون قيادة وبدون زعامة .. وأحزاب تتصارع من أجل كرسى الحكم وهى فى سبيل ذلك تستسلم للاستعمار صاحب النفوذ ، وحكومات غير أمينة على مقدرات البلاد تتولى القيادة والمسئولية ، وفساد يسود المجتمع من أعلى القمة حتى القاعدة الدنيا ، وملوك ورؤساء منتهزون يتآمرون على مقدرات البلاد ، وتفكك وانقسامات وتناقضات لا حصر لها تعم وتستشري .

مثل ذلك المجتمع ولا شك يستحيل عليه أن يرد مؤامرة استعمارية أو يصد خطر الصهيونية العالمية .. بل إن ذلك المجتمع بتفككه وتخلفه وأمراضه الكثيرة كان سببا من أسباب نجاح الصهيونية العالمية فى إقامة جسر لها فى وطننا العربى .

ذلك المجتمع تغير ، هدمته الثورة لانه كان فاسدا ، وبنت على أنقاضه مجتمعا جديدا للانسان فيه قدسية ، والفرد فيه قدسية ، تقدم فيه استغلال الانسان لجهد أخيه الانسان ، تتنود فيه العدالة الاجتماعية والمساواة ، الثروة فيه ملك للجميع توزع على الشعب توزيعا عادلا ، والتعليم فيه حق للجميع ، والتوعية مسئولية

تحميلها الدولة ، والتناقضات فيه بين الشعب والحاكم زالت ولم يعد لها سبب واحد .

هذا المجتمع الجديد يتحمل مسؤولية حماية الوجود العربي ، وتحقيق الشعارات القومية التي ارتفعت في السماء العربية .
الوحدة التي ارتفع شعارها في أرجاء الوطن العربي والتي بقيت مجرد شعار تهفو اليه القلوب وتلتف حوله الجماهير ، أصبحت بفعل الثورة حقيقة يعيش بنعيمها الشعب العربي كله .

والحرية التي كانت أمنية كل مواطن عربي أصبحت حقاً مقدساً لكل مواطن في الجمهورية العربية المتحدة ثمرة الثورة المباركة .
والاشتراكية التي كانت طاماً أصبحت عنواناً للمجتمع العربي الجديد ..

لقد ظهرت حركات كثيرة تنادى بالحرية والوحدة والاشتراكية ، معظم تلك الحركات رفعت الشعار لتؤدي مهمة خادعة ، وحركة واحدة رفعت عن ايمان صادق ، ولكنها لم تقدر على الانتقال بهمن مرحلة « الرفع » الى مرحلة التطبيق ، بل انها لم تقدر على كشف الحركات الاخرى التي رفعت خداعاً وتضليلاً .

ثم جاءت الثورة وتحملت المسؤولية القومية كلها .. جعلت الشعارات التي كانت تلمع في السماء العربية حقائق تلمسها الامة العربية .

الجللاء تحقق عن مصير .

الاستقلال أصبح يمارس ممارسة فعلية .

الفساد اقتلعت جذوره .

العملاء قضى عليهم قضاء تاماً .

الأنثهازيون لم يعد لهم متسع .

الاقطاع تهـدم ..

والجهل حوّر ..

والفقر في طريق الزوال .

وحدة النضال أصبحت حقيقة يمارسها الشعب العربي ،

والمصير المشترك أصبح مسؤولية تتحملها الثورة وايماناً تقديسه

الجماهير العربية ..

وبمعركة التحرر التي تخوضها الامة العربية حققت انتصارات

كبيرة .

وبعد هذا أصبح الشعار القومي الخالد « حرية - وحدة - اشتراكية » يجد القوة الثورية القادرة لان تضعه موضع التطبيق العملى ...

الوحدة اليوم حقيقة تشع نورا ونارا ،
والحرية اليوم احدى الضروريات المكفولة لكل مواطن .
والاشتراكية اليوم أساس المجتمع العربى الجديد .

بذلك ، بعد هذه الانتصارات القومية أصبح المجتمع العربى ،
وليد الثورة ، قادرا على خوض معركة الوجود مع الصهيونية
العالمية والاستعمار والشيوعية الدولية ، وقد أصبحت مستلزمات
معركة الوجود متوفرة للمجتمع العربى الجديد .

الوعى الذى كان ينقص هذا المجتمع والذى من جراء انعدامه
قبل ثورة ٢٣ يوليو كانت الاحزاب قادرة على التضليل والخداع ،
والحكومات قادرة على التلاعب بمقدرات البلاد ، والحكام العملاء
قادرين على اقتراف الخيانات والجرائم .. أصبح اليوم بفعل
المعارك المريرة التى خاضتها الثورة والشعب ، وبفعل الاحداث
الكثيرة التى عاشتها الامة العربية ، وبفعل المؤامرات الكثيرة التى
أحبطتها القيادة الثورية المسئولة .. ثم بفعل الانتصارات الكثيرة
التي تحققت وحميت ، سلاحا يحارب به المواطن العربى الدعايات
المسمومة والافكار الخبيثة والمؤامرات الاجرامية والمحاولات التى
يراد منها التسلل الى الجماهير الشعبية لخلق أزمة ثقة بينها
وبين قيادتها الثورية كتمهيد لابد منه لضرب المكاسب الشعبية
القومية .

والتناقض الحتمى فى الارادة والاسلوب بين الشعب والحكام
الذى كان عنوانا كبيرا للمجتمع العربى قبل الثورة ، أصبح اليوم
منعدما فى الجمهورية العربية المتحدة ثمرة الثورة الكبرى ، تأخذ
مكانه ثقة متبادلة بين القيادة الثورية والشعب .

والفوارق الاجتماعية ، التى كانت تتمثل فى طبقة محرومة
جائعة تبحث عن حماية ، أى نوع من الحماية ، أصبحت اليوم
بفعل الاصلاح الزراعى والقضاء على تسلط رأس المال على الحكم
منعدمة تأخذ مكانها عدالة اجتماعية تضمن التوزيع العادل للثروة
وتكفل العمل الحر لكل مواطن .

والطبقية ، التي كانت تحتم التصارع الطبقي مع ما ينتج عن هذا التصارع من مآس ، والتي كانت تتمثل في احتكار العملاء والمصلحين ورجال الاقطاع والرأسماليين للأحزاب وللحكم ولثروات البلاد ، أصبحت اليوم منعدمة . بل أصبحت جميع الطبقات تدوب في اطار الوحدة القومية ، وأصبح الحكم نتيجة لذلك لمصلحة الشعب وييده .

والفساد الذي كان من أبرز معالم المجتمع العربى قبل الثورة ، ومن جرائه كان الانحلال الخلقى واللامبالاة والاستهتار بالقيم الوطنية ، أصبح اليوم منعدما لاوجود له .

والاحزاب التي كانت بفعل تسلط المصلحين والعملاء عليها ادوات يحركها الاستعمار وفق أهوائه ، والتي كانت القاعدة فيها كلها سلما ترتقى عليه طبقة تحترف القيادة وتسخر الحزب والقاعدة لتحقيق أغراضها ومصالحها الشخصية .

والحزبية التي كانت بفعل تصارعها تخلق انقسامات في صفوف القاعدة الشعبية فتضعف بذلك مقدرة المجتمع على مجابهة الاخطار القومية . . أصبحت اليوم منعدمة يأخذ مكانها اتحاد قومي يجمع الشعب كله في اطار واحد . .

والتخلف الصناعى الذى كان الاستعمار من خلاله يجعلنا تحت رحمته ، نستورد منه الابرة والخيط وكل مانحتاج اليه من ضروريات وكماليات ، فنبقى بذلك سبوقا لمنتجاته ، ونبقى في الوقت ذاته مزرعة يستغل خيراتها الزراعية ، انعدام وجوده ، وأصبح مجتمعنا يعيش ثورة صناعية جبارة تنتج بما يزيد عن حاجتنا ، وتساهم بالزيادة في تحرير اقتصاد الدول حديثة الاستقلال . . .

والتخلف الاقتصادى ، الذى كنا من جرائه نعتمد على الزراعة فقط ، وكانت ثرواتنا بسببه رغم كثرتها ووفرته ، يستبد بها الاحتكاريون الاجانب وفئة قليلة من العملاء ، اضمحل وانعدم وجوده ، وأصبحت تأخذ مكانه ثورة اقتصادية تهدف الى مضاعفة الدخل القومى . خلال سنوات قليلة ، ورفع مستوى المعيشة لكل مواطن ، وتحرير كل فرد من أغلال الحاجة والفقر . والاستغلال ، استغلال الغنى للفقير ، واستغلال القوى للضعيف ،

واستغلال الحكومات والاحزاب ورجال الدولة لمناصبهم سعيًا وراء ثراء حرام . . . الذى كان من ابرز مظاهر مجتمع قبل الثورة ، ومن اهم عوامل فساد ذلك المجتمع ، قضى عليه واستبطلت جذوره وحلت مكانه . . عدالة ومساواة .

والاعتماد على الاستعمار ، الذى كان دعامة الحكومات ، ووسيلة الاحزاب فى الوصول الى الحكم ، أصبح فى المجتمع الجديد خيانة كبرى تتولى الدولة مسؤولية حماية المجتمع من مقترفيها بتقديمهم للمحاكمة وضربهم بيد من حديد . . وصار الاعتماد على الشعب هو دعامة الحكم ، ووسيلة كل مواطن يسعى الى خدمة الشعب عن طريق الحكم .

والشعارات الكاذبة التى كانت ترفعها الاحزاب والعناصر الانتهازية والمصلحية لخداع الجماهير وتضليلها لم يعد احد يجرأ على رفعها أو المتاجرة بها ، فقد تولت الثورة حماية المجتمع من المضللين والمخادعين . . بل ان تلك الفئات حوربت بلا هوادة حتى اقتلعت جذورها وطهرت الارض العربية من مفاسدها . . وغدت سماؤنا لا تخفق فيها . ولا تتردد فى جنبااتها غير شعارات صادقة ترفعها العناصر المؤمنة المخلصة القادرة على جعل كل شعار حقيقة ملموسة .

والمساومة على حقوق الشعب التى كانت مادة فى يد الحكومات والاحزاب تساوم عليها من أجل كرسى الحكم ، انعدم وجودها ، وأصبحت حقوق الشعب مقدسات تحافظ عليها الدولة وتحميها من المتآمرين والانتهازيين . . وتبذل كل الجهد لاستعادة ما فرطت به حكومات قبل الثورة .

والاحتكارات الأجنبية التى غدت بلادنا من جرائها مزرعة كبيرة لملكها الأجنبى ، والتى غدا الأجنبى من خلالها يتحكم بمقدراتنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، قضى عليها . . استعادتها الثورة وجعلتها ملكا للشعب يستفيد من أرباحها ويستعين من دخلها فى مضاعفة الدخل القومى ورفع مستوى المعيشة .

والعملاء والانتهازيون حكام مجتمع قبل الثورة ، الذين كانوا يعيشون فى المجتمع العربى فسادا ، ويتخذهم الاستعمار أدوات لتنفيذ مآربه ووسائل لتحقيق أغراضه اقتلعت جذورهم وقضى

على شروهم ولم يعد لهم متسع ، بل ولم تعد هناك تغبرة ينفذون منها .. أصبح المجتمع العربى الجديد متماسكا قويا ، لا مكان فيه لعميل او انتهازى .

والحكام الخونة الذين كانوا فى سبيل مصالحهم وشهواتهم يغدرون بالشعب ويقتربون الخيانات ضده لم يعد لهم وجود ، أصبح الحكام أمناء على حقوق الشعب يتولون قيادته فى سلسلة من المعارك لاستعادة الحقوق المسطوية وتحطيم اغلال العبودية التى خلفها أوائل الحكام الخونة .

وسوء توزيع الثروات الذى من جرائه كان مجتمع قبل الثورة عبارة عن فئة قليلة تعيش بترف ، وغالبية كبيرة محرومة من أسباب الحياة وضروريات العيش ، حلت مكانه عدالة اجتماعية تضمن التوزيع العادل للثروة القومية فينال كل مواطن حقه كاملا غير منقوص ، وتضيق الفوارق فى مستوى المعيشة الى الدرجة التى تجعل العامل يحس بوجوده وقيمته كما يحس بهما مالك الارض او صاحب المصنع .

وكان لابد لذلك المجتمع من أن يهدم بمعاول قوية حادة لبنى على انقاضه مجتمع جديد قادر على حماية الوجود العربى ومجابهة التحدى التاريخى الذى يشكله الوجود الصهيونى العدائى . ولم تقدر يد عربية على حمل المعول .. بل ان اليد العربية القادرة على هدم الفاسد وحده دون البناء لم تظهر فى المجتمع العربى ، الامر الذى جعل عناصر الشباب المثقف فيه تتحسس الاخطار الجسيمة التى تتعرض لها الامة العربية دون أن تقدر على درء هذم الاخطار أو وضع حد للفساد .

وفجأة بمثل ماظهر الانبياء فى عالمنا تفجرت فى الارض العربية ثورة عملت بيد حازمة على هدم المجتمع الفاسد المتفسخ ، وبناء مجتمع عربى جديد اسسه اشتراكية نابغة من ظروف أمتنا وواقعها وتاريخها .

بدأت أمتنا بذلك تجربة الاشتراكية القومية الانسانية ، وهى الاولى من نوعها فى التاريخ الحديث الذى تتجه فيه شعوب الارض كلها الى النظام الاشتراكى خاصة الدول حديثة الاستقلال التى تترزح تحت اعباء التخلف الاقتصادى من جهة والتى ما زالت

الاحتكارات الأجنبية تسيطر على مقدراتها الاقتصادية من جهة أخرى

لقد عرف عصرنا أنواعا من الاشتراكية .. بعضها يقوم على أساس حتمية ثورة عالمية تقوم بها الطبقة العاملة ، ثم عدل هذا الأساس على ضوء تجربة ثورة الصين في المؤتمر العشرين الذي عقدته الأحزاب الشيوعية في موسكو ولكن التعديل لم يتناول حتمية الصراع الطبقي بل انه أبقي هذه الحتمية جوهرًا للفلسفة الشيوعية الدولية .

وبعضها الآخر يقوم على أساس العنصر والجنس كالاشتراكية النازية التي ابتدعها هتلر ، أو الاشتراكية الفاشستية التي ابتكرها موسوليني .

وبعضها الآخر كالاشتراكية التي يتطور إليها النظام الرأسمالي تطورا حتميا غير ثوري كاشتراكية حزب العمال البريطاني .
ان الاشتراكية التي تنفذ في مجتمعاتنا العربي ، في الجمهورية العربية المتحدة ، لا تقوم على أساس طبقي ولا تؤمن بالصراع الطبقي ولا بحتمية الثورة العمالية ولا تؤمن بتسلط طبقة العمال « البروليتاريا » على غيرها من الطبقات ، فترفض أن يكون الفرد مجرد آلة .. انها تؤمن بان الحكم للشعب لا لطبقة واحدة منه ، وتؤمن بانعدام الطبقة وتعمل على هذا الأساس ، كذلك تؤمن بأن للفرد قدسية ، وتؤمن باذابة التناقضات الاجتماعية الموجودة بين عناصر الشعب عن طريق وحدة هذه العناصر بذلك فانها تختلف كل الاختلاف ، بل تتناقض تناقضا حتميا مع الشيوعية الدولية ثم ان الاشتراكية العربية ليست عنصرية النزعة ولا تؤمن بالتسلط العنصرى ، انها تؤمن بحق كل شعب في التمتع باستقلاله وممارسته الفعلية لهذا الاستقلال كما تؤمن بحق كل شعب في أن يختار النظام المعيشى الذى يلائمه دون أن يكون هناك تدخل فى شئونه أو تأثير على نوع النظام الاجتماعى الذى يختاره .. بذلك تختلف عن الاشتراكية الفاشستية ، بل تتناقض تناقضا حتميا معها .

كذلك ، الاشتراكية العربية تؤمن بالثورية فى التنفيذ .. انها لو تؤمن بغير الثورية ، بالتطور البطيء التدريجى مثلا ، ستحيل عليها ان تصل الى المرحلة التى تعيشها اليوم .. ذلك لان مجتمعاتنا التى ورثته مليئا بالفساد والرواسب ومخلفات آلاف

السنين ، سبيله الوحيد الى الانتفاذ هو انشودة .. بذلك تختلف كل الاختلاف عن اشتراكية حزب العمال النابعة من ظروف بريطانيا ومستوى الفرد المعيشى المرتفع فيها .. بل ان الاشتراكية العربية تتناقض تناقضا حتميا مع تلك الاشتراكية وليدة احتياجات المجتمع البريطانى المتقدم الذى يعيش قمة الثورة الصناعية .

على اساس ما تقدم تكون الاشتراكية العربية ، الاشتراكية التعاونية الديمقراطية ، وليدة ظروف مجتمعنا المتخلف اقتصاديا واحتياجات هذا المجتمع الذى كانت رواسب الماضى تعوق حركته وانطلاقه وتاديت له لرسالته الانسانية ودوره الايجابى فى الحياة .

وهناك ولا شك ، فى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، دول حديثة الاستقلال أو ساعية الى التحرر والاستقلال ظروفها السياسية مماثلة لظروف الجمهورية العربية المتحدة ، وأوضاعها الاجتماعية مشابهة لأوضاعها ، وحرصها على انتصاراتها لا يقل عن حرص الجمهورية العربية المتحدة على انتصاراتها .. نبحث عن تجربة تلائم ظروفها وأوضاعها فلا تجد غير التجربة الاشتراكية العربية .

ان تلك الدول حديثة الاستقلال تبغى ولا شك تحرير اقتصادها من يد المحتكرين الاستعماريين لانها تريد ان تمارس استقلالها ممارسة فعلية ، ويستحيل عليها أن تقدر على هذه الممارسة مالم تتحرر اقتصاديا ويصبح اقتصادها ملك يديها . وتبغى فى الوقت ذاته أن لا تقع وهى تخوض معركة تحرير الاقتصاد فريسة دولة كبرى جديدة .. ان الدول حديثة الاستقلال تخشى جميع الدول الكبرى لان لكل دولة اطماعا لاحصر لها واستراتيجية بعيدة المدى تريد الوصول اليها .. لا تريد تلك الدول مثلاً أن تتحرر من الرأسمالية العالية لتقع فى قبضة أو نفوذ الشيوعية الدولية .. كذلك الحال بالنسبة لدولة تنجو من مخالب الشيوعية ، انها تكون حريصة أشد الحرص على أن لا تقع فريسة الرأسمالية أو الاستعمار الغربى .

والتجربة الوحيدة التى مارستها حماية الاستقلال وتحرير الاقتصاد وخاضتها فى سبيل ذلك سلسلة من المعارك وصلت الى

حد عدوان مسلح عليها اشتركت فيه دول ثلاث ، ونجحت في تأكيد ذلك وتجسيده دون أن تتمكن الدول ذات الاستراتيجية البعيدة أو غيرها من الدول الطامعة في التسلط والسيطرة من التأثير على استقلالها وسياساتها أو بسط نفوذها على اقتصادها، هي التجربة الاشتراكية التعاونية الديمقراطية التي تمارسها الجمهورية العربية المتحدة وتؤكد بها مقدرة الدول الصغيرة حديثة الاستقلال على انتزاع حقوقها وحماية مكاسبها وانتصاراتها الوطنية والقومية ..

وكان من الطبيعي للدول حديثة الاستقلال وهي ترفع راية حريتها أن تستفيد من تجربة الجمهورية المتحدة لابقاء هذه الامة رمزا اكيدا للاستقلال فتعمل على تحرير الاقتصاد لتصبح قادرة على ممارسة الاستقلال ممارسة فعلية أكيدة ، ومثل هذه الممارسة لا يمكن ضمانها الا بالقضاء على الاحتكار والاحتكاريين والعمل بموجب نظام اقتصادي جديد يقوم على أساس عدالة التوزيع وتحريم استغلال الانسان لجهد أخيه الانسان .. واتباع سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، أي بعدم السماح للدول الكبرى ذات الاطماع والاستراتيجية البعيدة المدى من التدخل في شؤونها وطريقة عيشها ..

وقد استفادت جميع الدول حديثة الاستقلال من التجربة العربية بل ان هذه التجربة الجديدة لعبت دورا كبيرا في اقتلاع جذور الاستعمار وتحطيم قلاعہ والتعجيل في تصفيته والقضاء على نفوذه ، دون أن تتيح الفرصة للشيوعية الدولية أن تأخذ مكانه ، ولذلك فانها تلقى مقاومة عنيفة ولقاء غير ارادي وعداء حادا من الاستعمار والصهيونية العالمية والشيوعية الدولية على السواء ..

يجد الاستعمار في التجربة العربية الناجحة خطرا يهدد مصالحه ووجوده ليس في العالم العربي فحسب بل وفي جميع الدول حديثة الاستقلال . لقد اضطر أمام قوة الدفع الثوري المتفجرة في الدول المستعمرة الخاضعة لنفوذه الى التراجع والتقهقر وتغيير الاسلوب في السيطرة .. قبل صاغرا أن ترتفع رايات الاستقلال .. وقد أخذت هذه الرايات تخفق في سماء أفريقيا وآسيا القارتين اللتين

كانتا مناطق نفوذ له معلنة انتصار ارادة الشعوب .. ولكنه احتفظ لنفسه بالاحتكارات الاقتصادية ، هكذا حاول ، وأصبح أسلوبه الجديد يعتمد على هذه الاحتكارات يتخذها وسيلة لبقاء نفوذه وسيطرته ، وكان يمكن لهذا الأسلوب أن ينجح لو أن الاستعمار نجح في الاحتفاظ بالاحتكارات .. أو لو أن تجربة الجمهورية العربية المتحدة لم تمارس ولم تصبح تعاليم وفلسفة تأخذها الشعوب وتمارسها على الطبيعة في بلادها .

أيقنت الشعوب حديثة الاستقلال أن الممارسة الفعلية لاستقلالها لا يمكن أن يتم ، على ضوء تجربة الجمهورية المتحدة ، إلا بتحرير الاقتصاد ، ولذلك فإنها عمدت فور حصولها على الاستقلال السياسي ، وفور ارتفاع راية الاستقلال في سمائها ، إلى مواصلة الكفاح لتأكيد الاستقلال .. لم تعد تخشى الشيوعية الدولية ، الأسطورة التي كان يلوح بها الاستعمار وعملاؤه والاحتكاريون في وجهها .. ها هي الجمهورية العربية المتحدة قد حررت اقتصادها وأمت كافة المرافق التي كان يسيطر عليها الأجانب المحتكرون ، وخاضت غمار حرب فعلية .. وبقيت بمنأى عن أخطار الشيوعية .. هكذا تلاشت الأسطورة الشيوعية ، وبذلك انطلقت الشعوب تواصل زحفها المقدس ، تستعيد الاستثمارات التي يملكها الأجانب ، وتحطم آخر القلاع التي يحتمى فيها الاستعمار .. واضحة نصب عينها التجربة العملية التي مارستها الثورة بقيادة عبد الناصر ..

بسبب ذلك ، فإن الاستعمار بكل امكانياته يحارب هذه التجربة ويتآمر باستمرار لضرب الثورة التي لولاها لما كانت هذه التجربة وهذه التصفية العاجلة له .

والشيوعية الدولية ، تجد هي الاخرى في التجربة العربية خطرا يهدد استراتيجيتها البعيدة الهادفة الى السيطرة الشاملة على العالم .. كانت ترى قبل نجاح الجمهورية المتحدة في تجربتها الاشتراكية ، ان الدول حديثة الاستقلال بعد تحررها السياسي من قبضة الاستعمار تتجه اتجاهها حتميا الى الشيوعية ، والحاجة في ذلك تقوم على أساس ان هذه الدول حديثة التحرر تكون في حاجة الى الحماية ومساعدات مادية وفنية تعينها على تحمل

الاعباء الجديدة وإزالة رواسب ومخلفات الاستعمار ورفع مستوى المعيشة وزيادة الدخل القومي وبناء قوة قادرة على درء الأخطار ومنع الاستعمار من العودة ثانية .. ومثل هذه الحماية والمساعدات يستحيل أن تتوفر للدول حديثة الاستقلال من الدول الاستعمارية الغربية بسبب تجربتها المريعة معها ثم بسبب عدم الثقة بها والاطمئنان إليها ، فتكون والحالة هذه مضطرة إلى الاعتماد على الشيوعية الدولية على اعتبار أنها القوة العالمية القادرة على تقديم العون المادي والحماية اللازمة ، وبذلك تأخذ الشيوعية مكان الاستعمار . وتبدأ من خلال المركز الجديد الذي تكون قد وصلت إليه في تغذية الصراع الطبقي والتسلل إلى الطبقة العمالية والأوساط الشعبية الفقيرة المتلهفة لسماع شعار يرتفع بالمطالبة لها بعمل وخبز وكساء .. فتحقق بذلك جزءا من استراتيجيتها العالمية .

ولكن الذي حدث بعد نجاح التجربة العربية أن الشعوب حذت حذو التجربة التي مارستها الثورة العربية .. دكت قلاع الاستعمار المتبقية ، وحطمت تلك القلاع وأقامت على أنقاضها سدا يمنع التسلل الشيوعي .. لم يكن السد الجديد أسوارا مسلحة تبنى أو أبراجا حديدية تقام ، إنما كان نظاما معيشيا يحرم المواطن من الاستغلال والفقر والحاجة ، وعند انعدام الاستغلال والفقر ينعدم الجو الملائم لرفع الشعارات الشيوعية ، بذلك تكون الأبواب بعد طرد الاستعمار وتطهير البلاد من آثاره قد أوصدت في وجه الشيوعية التي تبحث دوما وباستمرار عن تربة تصلح لبذر بذورها ، فلا تجد هذم التربة اللازمة لها إلا في البلاد المتخلفة التي تآبى الانطلاق والزحف والثورة على الواقع الفاسد ومثل تلك البلاد تكون ولا شك ترواح تحت نير العملاء والرجعية ..

إن التجربة العربية كما أثبتت الأحداث والتجارب والوقائع خطر جديد تجابهه الشيوعية الدولية أشد من خطر الاستعمار ، ذلك أن أي مجتمع يتسلط عليه الاستعمار يكون بحكم التخلف الشديد الذي يعيشه ملائما للشعارات الشيوعية ، كذلك الحال بالنسبة لكل مجتمع متخلف لم يهتد إلى طريق الثورة الاجتماعية ، في حين أن مجتمع التجربة العربية تنعدم فيه تلك الأجواء ويصبح تسلل الشيوعية أو نموها أمرا مستحيلا ..

لذلك تلقى هذه التجربة من الشيوعية الدولية عداء تلتقى فيه
التقاء غير ارادى مع الاستعمار والراسمالية العالمية .
والصهيونية الدولية أيضا وهى صاحبة مخطط ابعاده ترمى
الى السيطرة على العالم العربى واتخاذ هذه المنطقة قاعدة للتسلل
وبسط النفوذ الاقتصادى والمالى على القارتين الافريقية والاسيوية
اللتين تعيشان بحكم آثار الاستعمار ورواسب الماضى فى تخلف
اقتصادى واجتماعى ، ترى فى التجربة العربية أشد أنواع الخطر
على أهدافها وقاعدة احتشادها ، لان الشروط الاساسية التى
تعتمد عليها فى تنفيذ برامجها وخططها العدوانية ينتفى وجودها ،
وتظهر بالإضافة الى ذلك عوامل جديدة تجعل تنفيذ المخطط
الصهيونى أمرا مستحيلا . .

من أهم العوامل التى ساعدت الصهيونية العالمية والاستعمار
على احراز نجاح أولى فى مخططاتهما باغتصاب جزء من فلسطين
واتخاذ هذا الجزء قاعدة للاحتشاد . . عدم وجود المجتمع العربى
الواعى المتماسك ، وعدم وجود قوة عربية كنتيجة حتمية لذلك . .
بانعدام هذين العاملين تمكنت الصهيونية من إقامة جسر لها فى
الوطن العربى ، وعلى أساس هذا الانعدام أيضا رسمت خطط
المستقبل الرامية الى توسيع الارض المحتلة ثم القيام بقفزة كبيرة
تحقق فيها دولة صهيون التى تحلم فيها الصهيونية العالمية وتعمل
بكل امكانياتها لان تجعل من هذا الحلم حقيقة . .

ولكن الفراغ الكبير الذى كان يعانيه المجتمع العربى من
انعدام انتماسك والوعى والقوة سدته ثورة ٢٣ يوليو . . أزالت
منه جميع حالات الضعف ، واعادت بناء على أساس الاشتراكية
التعاونية الديمقراطية ، فغدا بذلك مجتمعا قويا واعيا على الإخطار
الذى تهدد وجوده ، وكان المعنى البديهي لذلك ان الشروط الهامة
التي كانت تعتمد عليها الصهيونية فى تحقيق أغراضها العدوانية
قد خسرتها . وان شروطا جديدة كان فقدانها من المجتمع العربى
سببا رئيسيا فى كل نجاح حققته الصهيونية والاستعمار فى العالم
العربى أصبحت بالتجربة الجديدة متوفرة .

ان أهم ثمرات التجربة العربية هى خلق مجتمع عربى جديد
قادر على مجابهة التحدى التاريخى الذى تتعرض له الأمة العربية ،
وخوض معركة الوجود بالمستوى الذى تتطلبه هذه المعركة مع
الصهيونية العالمية ذات الامكانيات المادية الضخمة .

بهذا فان الجمهورية العربية المتحدة بتجربتها الاشتراكية
اصبحت قادرة على حماية الوجود العربى وخوض معركة المصير
مع الوجود الصهيونى والحركة الصهيونية العالمية التى تتخذ من
فلسطين المفتصة قاعدة انطلاق لغزو افريقيا وآسيا ودول أمريكا
اللاتينية بالتآمر مع الاستعمار الذى أوجدتها لتكون مخلبا في
العالم العربى . وستارا خادعا له في افريقيا وآسيا القارئين اللتين
تتأجج فيها ثورات الشعوب وهى الآن ، أى الجمهورية ، تخوض
المعركة مع الصهيونية العالمية . فى قاعدة احتشادها في فلسطين
المحتلة وفى كل مجال امتدت اليه اصابع الصهيونية فى العالم ،
فتتحمل بذلك مسئولية الامة العربية كلها وثقل المعركة التى يترتب
على نتائجها مصير العرب ووجودهم .

كان العرب قبل ثورة ٢٣ يوليو عاجزين المعجز كله عن خوض
المعركة مع الصهيونية العالمية ، وعندما أقيم واس جسر للصهيونية
في الوطن العربى بقى العرب عاجزين عن تدمير ذلك الجسر ، بل
وبقوا عاجزين عن وقف الهجمات المتلاحقة التى كانت تنطلق كل
يوم من ذلك الجسر تصدع حدودهم .. وكان عجزهم واضحا
اكثر وأكثر في المجال الدولى .. لم يكن العرب في وضع يمكنهم
من محاربة النفوذ الصهيونى الذى بازدياده تزداد اخطار الصهيونية
على بلادهم ووجودهم ومصيرهم ، بل انهم لم يكونوا قد وصلوا
مرحلة الادراك لخطر النفوذ الذى يمتد الى افريقيا وآسيا .

وفي فترة العجز هذه كانت الصهيونية العالمية تنطلق من القاعدة
العدوانية ، من اسرائيل للتغلغل في افريقيا ، ولم تكن افريقيا
بعد قد بدأت تقطف ثمار الثورات ، لم تكن رايات الاستقلال قد
خفقت في سمائها بعد ، كانت منطقة نفوذ للاستعمار تتقاسم
احتكاراتها الدول الغربية .. وقد هيات دول الاستعمار في مناطق
تسلطها لاسرائيل مهمة التسلل الى المستعمرات لتكون بعد
الاستقلال الذى كان قد بدا يلوح في الافق ، هى الاداة التى يتخذها
الاستعمار واسطة لابقاء تدخله في سياسة الدولة وسيطرته
على اقتصادها ومواردها .

ومثل هذا اتبع مع عدد من دول جنوب شرقى آسيا ، دون
أن يتنبه العرب الى هذه المهمة التى تؤديها اسرائيل ، والتى من

شأنها أن تعطى الدولة الغاصبة أسباب القوة والبقاء وامكانية تنفيذ المخطط بسرعة أكثر ، لان إسرائيل قاعدة الصهيونية العالمية بحكم طبيعة الارض التي تفتصبها وصغر مساحة تلك الارض ، ثم بحكم اهدافها التوسعية وابعادها التي تصل الى حد السيطرة على اقتصاد افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية أى على اقتصاد العالم المتخلف اقتصاديا بشكل خاص ، تعنى بالصناعة وتبنى وجودها على أسس صناعية ، ومن البديهيات المعروفة أن ازدهار الصناعة في بلد صغير لا يتجاوز عدد سكانه المستوردين من شتى بقاع الارض المليونين الا بقليل يتوقف على مقدار الاسواق التي تقدر على غزوها وكسبها وتصريف المصنوعات فيها ، ومثل هذه الاسواق بالنسبة لبلد كاسرائيل لا يمكن توفره الا في البلدان المتخلفة صناعيا واقتصاديا ، لذلك كان هدف الصهيونية العالمية فور اقامة اسرائيل ان تبدأ في غزو الاسواق الافريقية والاسيوية واسواق أمريكا اللاتينية ، وقد ساعدها الاستعمار في ذلك وساعدتها الجاليات اليهودية التي تنتظم في الحركة الصهيونية العالمية في التسلل .. وكى تكسب الصهيونية مزيدا من القوة وتثبيت جذورها في مناطق غزوها عمدت الى تقديم مساعدات مالية وحبرة فنية للدول حديثة الاستقلال رغم انها تعيش منذ وجودها على مساعدات مالية ضخمة تأتيها كل عام من أمريكا ومن يهود العالم ، ورغم انها تستجدي مثل هذه المساعدات استجداء قام به وايزمن اول رئيس للدولة الغازية ثم واصل مهمته بعد موته بن غوريون وكافة شخصيات الصهيونية العالمية .

ان غرض اسرائيل من وراء المساعدات المالية والفنية التي تقدمها هو تدعيم وجودها ونفوذها على حد سواء ، انها بهذه المساعدات تامل أن تكسب أصدقاء ومؤيدين ، وفي حالة تحقيقها لمثل هذه المكاسب تكون بالفعل قد دعمت وجودها في المجال الدولي . وتكون قد ضمنت الى جانبها عددا كافيا من المؤيدين لوجودها وبقائها في الامم المتحدة ، ثم انها عن طريق هذه المساعدات تكون قد زادت من نفوذها ، بل انها تكون قد أوجدت لها نفوذا من عدم ، لانها تقف في هذه الحالات جنبا الى جنب مع الدول الكبرى صاحبة الامكانيات المادية الهائلة التي تتسابق في تقديم المعونات للشعوب حديثة الاستقلال والبلدان المتخلفة اقتصاديا

على أمل كسب أسواق لمنتجاتها الصناعية وتأييد لقضاياها القومية ، وقد حققت إسرائيل من وراء مساعداتها بعض ما كانت تصبو إليه ، قطعت أشواطاً ليست قصيرة في التغلغل والتسلل الى اقتصاد أفريقيا وآسيا ، وكسبت بالفعل اعتراف عدد من الدول حديثة الاستقلال بكيانها ووجودها ، ثم كسبت أسواقاً تجارية لمصنوعاتها .. والخطر من هذا ، انها اتخذت من تسللها ومن الإبغاد التي وصلت اليها مراكز رئيسية للهجوم على العرب والاساءة اليهم وتشويه سمعتهم لدى الرأي العام الإفريقي والاسيوي ، وتمادت في ذلك الى حد انها بدأت تسعى جادة لمحاصرة العرب في ديارهم واغلاق أبواب أفريقيا وآسيا في وجوههم .. بدأت تنتزع من العرب سلاح المقاطعة الذي أشهروه في وجهها وبدأت في الوقت ذاته تحيط العرب بمجموعة من الدول معادية لهم عن طريق نشاط مسموم تقوم به في كل دولة اتاحت لها فرص التسلل اليها ، وقد اتاحت لها مثل هذه الفرص في جميع انحاء القارة الإفريقية وقارة اسيا بفضل الاستعمار الذي كان يسيطر عن طريق الاحتلال أو عن طريق النفوذ على انقسم الأكبر من القارتين .. وكان الاستعمار يفعل ذلك وفق خطة رسمها .. كانت تقضي خطته ان تقوم إسرائيل قاعدة الصهيونية ومخبله واداته بالتسلل الى الاقتصاد بغية السيطرة عليه ، ومن خلال ذلك يكون الاستعمار قد ضمن لاحتكاراته ونفوذه وامتيازاته البقاء لان إسرائيل تكون قد بدأت القيام بمهمته فتكون النتيجة الحتمية لذلك أن الدول الإفريقية والاسيوية حديثة الاستقلال تستيقظ عند رفع رايات الاستقلال على نفوذ جديد وتسلل حديث النوع موجود بجذور عميقة الامر الذي يخلق لهزم الدول نوعاً جديداً من المشاكل والتعقيدات السياسية والاقتصادية .

ولئن كان الاستعمار هو الذي فتح أبواب أفريقيا وآسيا المتصلتين بالعرب جغرافياً وتاريخياً ومصرياً ودينياً للصهيونية العالمية بغية مساندته في تضيق الخناق على الأمة العربية ، فإن الصهيونية العالمية من جهتها ، في الوقت الذي تؤدي فيه خدماته وتحقق اغراضاً بعيدة للاستعمار من وراء مهمتها التي تضطلع بها ، تستفيد من هذه الفرص الذهبية في تاريخها لان تنفيذ برامجها الرامية الى بسط نفوذها وسيطرتها الاقتصادية على القارتين

الافريقية والاسيوية ، وزيادة مواردها وامكانياتها التي تسخرها لتوسيع رقعة الارض التي تحتلها ، أى القيام بجولات جديدة بغية اغتصاب المزيد من الاراضى العربية وتشريد المزيد من أبناء هذه الامة .

ولم يكن العرب الذين عجزوا عن صد الغزوة الصهيونية وتدمير الجسر الذى أقامته فى الوطن العربى ، فى وضع يمكنهم من ممارسة أى نوع من النشاط لفضح مهمة اسرائيل كرأس جسر للاستعمار واداة اجرامية فى يده ومخلبا ساما يحركه وفق أهوائه . . . كان العرب فى تلك الفترة كالرجل المريض الذى لا يقوى على مواجهة أى تحد من رجل قوى كانوا فى فترة الضعف والانحلال التى جعلتهم لا يقوون على مقاومة العدوان داخل ديارهم ، فكيف بهم يقوون وهم فى تلك الحالة على مقاومة العدوان الذى يدبر ضدهم خارج بلادهم . . لم يكونوا بعد قد أدركوا مدى خطورة الوجود الصهيونى فى بلادهم على وجودهم وحياتهم ومصيرهم . . . لذلك فإنهم لم يحاولوا الاستفادة من الامكانيات الهائلة التى يملكونها فى مواجهة مؤامرات الصهيونية والاستعمار . . لم يحاولوا التهديد ، مجرد التهديد ، بالبترول وبالامتيازات الكثيرة التى يحتكرها الاجنبى فى ديارهم لوقف الاستعمار عند حده فى انتهاكهم على مصائرهم وقضاياهم القومية . كان بعضهم فى فترة الاندفاع وراء الملذات وكان بعضهم الآخر من الملوك والرؤساء فى فترة الاندفاع وراء الآمال التى يمنيهم بها الاستعمار ، لم يكن واحد من المسئولين يعيش تلك الفترة فى جدية وخطورة تلك الفترة . . . وكان من الطبيعى والحالة هذه ان تنفذ اسرائيل الى القارتين الافريقية والاسيوية المتصلتين بالعرب اتصالا وثيقا ، وان تشن فيهما حربا دعائية ضد العرب بقصد تسميم الجو افريقى والاسيوى ضدهم ثم بقصد خداع وتضليل الراى العام الافريقى بتصوير اسرائيل واحة باسمة فى الصحراء العربية القاحلة ، دون ان تجد مقاومة ، أى نوع من المقاومة من العرب .

حدث ذلك كله فى فترة العجز التى كان يعيشها العرب وهى اقتره ما قبل الثورة ، حدث التسلل الصهيونى بدون مقاومة من العرب ، وفتح الاستعمار ابواب المستعمرات للصهيونية العالمية واسرائيل قاعدة انطلاقها دون ان يتنبه العرب الى اخطار ذلك ،

وضاعت من العرب فرص كبيرة في افريقيا وآسيا دون ان يدركوا قيمة تلك انفرص .

كانت تلك الفترة هي العهد الذهبي في تاريخ الصهيونية العالمية وكانت الصهيونية تقدر كل يوم من ايام عهدها الذهبي ذاك فعاشت كل لحظة في عمل متواصل لقطع مسافات أبعد في تحقيق برامجها ومخططاتها كي تقترب اكثر وأكثر الى أهدافها البعيدة .. كانت تقدر بانها في صراع مع الزمن ، وكان الزمن في نظرها هو فترة العجز التي يعيشها العرب .. لانها وقتئذ فقط كانت تقدر على العمل بحرية ، وقد عملت بانفعل بحرية تامة وبدون أى نوع في المقاومة من أعدائها العرب الطامعة في بلادهم ، المقتسبة فلسطين منهم ، ولم تكن الصهيونية العالمية تتوقع المقاومة من غير العرب ولم يكن غير العرب يتعرض الى مثل الاخطار التي تهدد الوجود العربى ، فافزوة الصهيونية لم توجه لافريقيا ولا لى شعب أى بلد من بلدان العالم رغم وجود الاستعمار في كثير من القارات ، انما وجهتها ضد الامة العربية .. ولذلك فان المقاومة لهذه الفزوة يجب ان يتحملها العرب ، وعجز العرب في تلك الفترة عن المقاومة الايجابية الفعالة انقادرة على التدمير والافناء ، فاعتنمت الصهيونية العالمية تلك الفترة لمواصلة برامجها التوسعية ، وكانت افريقيا وآسيا الهدف الجديد لها ، وذلك لعوامل كثيرة أهمها :

١ - ان الاستعمار المتسلط على القارتين ، المتأمر على العرب وقضاياهم ، فتح أبواب القارتين للصهيونية العالمية واثاح المجال للراسمال الصهيونى لان يتغلغل ويؤدى مهمته التى يبرع فى تاديتها . اكثر من براعته فى أى مجال آخر ، وهذا أمر تاريخى تعرفه شعوب الارض كلها ولايجوز لنا ان ننكره او نقلل من خطره .. وبسبب وجود المستعمر حاكما فعليا فان التغلغل وصل الى ابعاد هـى فى غاية الخطورة ، يكفى ان نعلم بان شركة يهودية تستثمر الماس فى مقاطعة كاتنغا فى الكونغو وفى اتحاد جنوب افريقيا هـى التى تتحكم فى سوق الماس العالمية ، وان رؤوس الاموال اليهودية هـى التى تسيطر على كثير من الاقتصاديات الافريقية خاصة المعادن والثروات الطبيعية التى تشكل موارد رئيسية لدول الافريقية .. لنذكر مدى الابعاد التى وصل اليها التغلغل الصهيونى

وفى الوقت الذى كان فيه المستعمر يدعو الصهيونية العالمية لان

تفرس جلودها السامة في الارض الافريقية والاسيوية . . كان يحول
يشدة ويمنع بعنف دخول العرب ، بعد انتهاء فترة عجزهم ، الى
افريقيا وآسيا . . لم يسمح للعرب بعد يقظتهم الثورية بارسال
بعثات دبلوماسية أو تجارية ، حتى ولادينية الى البلاد الافريقية
والاسيوية التي يتحكم بمصيرها ومقدراتها ، في حين ان اسرائيل
الكثير من البعثات الدبلوماسية والتجارية وغيرها . . لقد أغلق
الاستعمار جميع الابواب التي يقدر عليها في وجه العرب ، وفتح تلك
الابواب على مصراعيها للصهيونية العالمية متمثلة باسرائيل وبرؤوس
الاموال اليهودية وقصده من وراء ذلك أصبح مكشوفاً ، كشفه الرئيس
جمال عبد الناصر للرأى العام الافريقي الاسيوى بشكل خاص وللرأى
العام العالمى كله ، رغم عمليات التضليل التي احيط به التغفل لتغطية
جانبى المهمة التي تؤديها اسرائيل .

الجانب الاول :

ان التغفل الصهيونى بشتى انواعه هو تنمية فعلية للمؤامرة
الكبرى التي أعدها الاستعمار ونفذها ضد العرب ، لان اسرائيل
بهذا التغفل تحقق مكاسب كثيرة وتحرم العرب من العمل في
مجالات العمل لهم فيها ميسور .

الجانب الثانى :

ان الرأسمال الصهيونى يتولى بعد ارتفاع رايات الاستقلال في
افريقيا اكمال مهمة الاستعمار في ابقاء السيطرة على الاقتصاد وفي
التاثير على سياسة الدولة والتدخل في شئونها والتجسس عليها
من خلال ذلك .

٢ - ان القارتين يحكم ظروفهما الاقتصادية والاجتماعية ، وهى
ظروف وأيدة الاستعمار ولاشك ، تعتبران تربة خصبة للصهيونية
العالمية البارعة في امتصاص الخيرات وتوظيف رؤوس الاموال ثم
احتكار التجارة . . ولذلك فان الحركة الصهيونية العالمية عندما
أعدت العدة بمساندة الاستعمار الفعلية لقيام بفرو فلسطين كانت
تبغى من وراء ذلك اتخاذ فلسطين قاعدة لغرضين رئيسيين :

الغرض الاول :

ان تحشد فيها جيشاً قوامه مليون جندي من فتيان الصهيونية

تجمعهم من اطراف العالم ليكون عدتها في الجولة الثانية وفي الجولات
الآخري التي تعقبها مع العرب بغية السيطرة على بقاع جديدة
من أرضهم .

الفرض الثاني :

ان تتخذ منها مركزا تنطلق منه لغزو أفريقيا وآسيا غزوا
اقتصاديا وصناعيا عن طريق رأس المال الذي توظفه وتقسمه
كقروض ، وعن طريق صناعاتها التي لا سبيل لها الا في بلدان متخلفة
اقتصاديا كالبلدان الأفريقية الآسيوية .

وقد علمت الصهيونية العالمية منذ اقامة جسر لها في الوطن العربي
على تنفيذ الفرضين في آن واحد ، فهي في الوقت الذي تجمع فتیان
الصهيونية من كافة أقطار العالم ليكونوا جيشها الذي تعده للغزوة
الثانية على العالم العربي ترتدي ثياب الحمل الوديع وتتسلل الى
أفريقيا وآسيا .. غير أن هذا التسلل افترض أمره بعد ان يلبأ
الوجود العربي يمارس وجوده ممارسة فعلية حركية .

٣ - ان القارتين ترتبطان بالعرب ارتباطا وثيقا يمتد الى أربعة
عشر قرنا من الزمن ، وان هذا الارتباط يتيح للعرب فرص العمل
والنشاط وكسب الأصدقاء بل والأسواق أكثر مما يتاح لغيرهم
خاصة لحركة كالحركة الصهيونية العالمية بعد افترض أمرها ..
لذلك سارعت الصهيونية العالمية بعد اقامة قاعدة ارتكاز واحتشاد
لها مفتنمة فترة العجز التي يعيشها العرب ، في الانطلاق نحو
أفريقيا وآسيا يحدوها الأمل في كسب الجولة الأولى في هاتين القارتين
كما كسبت الجولة الأولى مع العرب ، قبل أن تستيقظ الأمة
العربية على خطر الوجود الذي يهددها . وقد سخرت الصهيونية
العالمية القسم الأكبر من مواردها وأمكاناتها لبسط نفوذها
الاقتصادي وكسب الأسواق لمصنوعاتها ، وعلى الرغم من صعوبة
الحصول على معلومات دقيقة عن المقادير والمبالغ الضخمة والجهود
التي تبذلها هذه الحركة الاستعمارية في القارتين وفي قارة أفريقيا
بشكل خاص . بغية تمكين الجذور التي غرسها أيام كان الاستعمار
هو المتسلط وهو الحاكم الفعلي ، الا ان معرفتنا لما تصرفه منظمة
الهستدروت احدي فروع الحركة الصهيونية العالمية المتغلغلة في

أفريقيا بشكل خاص يجعلنا نلمس مقدار ما تصرفه الصهيونية العالمية في سبيل بسط نفوذها في هاتين القارتين . . ان آخر موازنة لمنظمة الهستدروت تساوى بالجنيهاً الاسترلينية ٢٦ مليوناً . هذا مع العلم الاكيد ان منظمة الهستدروت ليست المنظمة الصهيونية الوحيدة التي تعمل في افريقيا واسيا ، فهناك الى جانبها أجهزة الدولة الرسمية والكثير من المنظمات الصهيونية العالمية .

من أجل هدم العوامل الثلاث اتجهت انصهيونية العالمية فور اقامة قاعدة ارتكاز لها نحو القارتين الافريقية والاسيوية . . وقد حققت لها بعض المكاسب ، غير أن جميع ماحقته في هاتين القارتين وفي غيرها من القارات والمجالات والميادين ، ثم في فترة العجز العربية التي استمرت حتى عام ١٩٥٢ أي حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو التي تعتبر الحد الفاصل في تاريخ العرب الحديث اذا اخذنا الامور من ناحية الوجود وعدمه .

بقيام هذه الثورة انتهت فترة الضعف والتخاذل والاستهتار وعدم تقدير المسؤولية واللامبالاة في معالجة القضايا القومية ، وحث القدرة في العمل مكان العجز وأصبح الإدراك لاخطار الغزو الصهيوني الذي كان مفقوداً قبل الثورة هو المحرك الاساسي والدافع القومي في العمل الثوري وفي خوض المعركة مع الصهيونية العالمية في كافة الميادين التي امتدت اليها .

اصبحت الحركة الثورية العربية الحديثة هي القوة الوحيدة في العالم كله التي تتحمل مسؤولية التصدي للحركة الصهيونية العالمية ذات الاهداف البعيدة المدى الرامية الى القيام بعمليات غزو جديدة من اسرائيل قاعدتها العدوانية في العالم العربي ، لاقامة دولة صهيونية على انقاض أمة العرب ، وبسط نفوذها الاقتصادي على افريقيا وآسيا وجعل هاتين القارتين سوقاً لصناعاتها وتجارتها ورأسمالها ومجالاً خصباً لبلر بذورها الشريرة .

حتى قيام الثورة العربية ، ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، كانت اسرائيل قاعدة الصهيونية العالمية والاستعمار هي التي تتحرك في كافة الميادين . . تلعب وجودها بمئات الالوف من الشباب الصهيوني تحشدهم في الرقعة الضيقة من الارض العربية التي تحتلها ، وتبسط نفوذها في قارتى افريقيا وآسيا بغزوات اقتصادية . . وبسبب حركتها وعجز العرب عن مجاراتها في هذه الحركة حققت بعض

المكاسب ، وكان من الطبيعي أيضا أن تلحق بالعرب ، من جراء عدم قدرتهم على الحركة ، الكثير من النكسات والخسائر ..

ان المبدأ الحياتي الذي يعرفه العالم كله ويمارسه ممارسة فعلية يقول : ان النصر في كل جولة وكل ميدان هو للاكثر قدرة على الحركة ، والصهيونية العالمية كانت أقدر من العرب في الحركة وفي سرعة الحركة ، لذلك عاشت فرصة العمر التي اتاحت لها وهي اربع سنوات كاملة من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٥٢ في حركة دائمة مستمرة

وفجأة تصدت لها القوة العربية الثورية .. لم تكن الصهيونية العالمية تتوقع هذه الثورة ، تماما كما كان الاستعمار لا يتوقع تفجيرها .. وعندما أصبحت الثورة حقيقة واقعة في الشرق العربي حولت كل امكانياتها لضربها وحصر تيارها وتعاونت في ذلك كل التعاون مع الاستعمار الغربي الذي اعتبر الثورة تهديدا لوجوده في العالم العربي كله وفي كثير من المناطق الاخرى المجاورة لهذا العالم ، ووصل التعاون بينهما قمته في العدوان الثلاثي الفاشل الذي تعرضت له الثورة في نوفمبر ١٩٥٦ . لقد فعلت الصهيونية ذلك ، كما قال زعمائها وقادتها ، دفاعا عن وجودها ، أحست بقاعدتها مهددة لأول مرة في تاريخ وجودها باخطار حقيقية لا وهمية

كانت قبل الثورة تتحدث من مركز القوة عن اخطار وهمية بغية التأثير على الرأي العام الصهيوني لتشجيع هجرة الشباب الصهيوني اليها ومضاعفة العون المالي لها وكسب عطف الرأي العام العالمي عليها ...

ولكنها بعد الثورة أصبحت تصرخ صرخات الاستغاثة مطالبة بالحماية لوجودها ولقاعدتها ، فقد بدأت الارادة العربية الثورية تتحرك وتتصارع مع الصهيونية وتخوض المعركة معها في مستوى معركة المصير والوجود ..

انطلقت الحركة الثورية العربية وهي تملك كل أسباب القوة ، مجتمعا متماسكا قويا لامجال لانتهازي أو عميل فيه ، وتجربة اشتراكية ناجحة لامجال لمحتكر أو استغلالي فيها ، وارادة ثورية لا تعرف التردد ولا التواكل ، تطارد الصهيونية العالمية في كل مكان تسللت اليه ، وتحاصر قاعدتها بمعدات الموت واجهزة النسف والتدمير

بعد أن نجحت الثورة في بناء القوة القادرة على حماية الحدود العربية وصد الهجمات الصهيونية المتلاحقة المتدافعة ، وجد قائدها بعبريته التي أذهل بها العالم وهو يسدد الضربات المميتة القاتلة للاستعمار ، أن المعركة مع الصهيونية العالمية لا ينحصر ميدانها في فلسطين فحسب إنما يمتد ميدانها ويتسع حتى يشمل كل مكان في العالم امتدت إليه أصابع الصهيونية أو أجهزة دعايتها .. وكان المعنى الوحيد لذلك أن تمتد المعركة وتتسع حتى تشمل وتلف العالم كله لأن في كل مكان في العالم جهازا صهيونيا يعمل .. ومعركة في هذا الاتساع وهذا المستوى تحتاج ولا شك إلى إمكانيات هائلة نجحت الثورة في توفيرها .. ومجرد توفير مثل هذه الإمكانيات لمعركة في هذا المستوى هو معجزة ولا شك .

بسبب العوامل التي سبق ذكرها ، كانت الصهيونية العالمية قد ركزت جهودها في أفريقيا وآسيا ، لذلك كانت الضرورة الحتمية تفرض أن يتركز الصراع بين الحركة الثورية العربية وبين الصهيونية العالمية ، في هاتين القارتين لاعتبارات هامة تتصل بالمبادئ التي جعلها جمال عبد الناصر دستورا مقدسا للجمهورية العربية المتحدة ، وبالرسالة الأنسانية العربية التي تحمل عبد الناصر مهمة تأديتها ، عدا عن اتصالها بالمصير العربي .

الاعتبارات الأولى :

أن الجمهورية العربية المتحدة بعد الانتصارات الضخمة التي حققتها في معارك حماية الاستقلال وتأكيد ممارسته ، وفي معارك تحرير الاقتصاد العربي ثم في التجربة الاشتراكية التعاونية الديمقراطية ، وبدافع من المبادئ المقدسة التي تدين بها وتتخذها دستورا تبنى عليه سياستها الخارجية وعلاقاتها بالدول ، وإيمانا منها بأن أي نصر تحرزها معركة الحرية في العالم ، أو أي استقلال يحصل عليه أي شعب من شعوب العالم المستعمرة هو تدعيم لمركزها .. ولما كانت شعوب القارتين أفريقيا وآسيا تخوض معارك مريرة مع الاستعمار ، وبحكم الصلة الوثيقة بين هذه الشعوب والأمة العربية ، كان لابد لها وهي تمثل الإرادة العربية القومية الثورية من أن تساند شعوب القارتين في معارك التحرر والاستقلال ، وأن تمد هذه الشعوب بكل ما تحتاج إليه وما تتطلبه المعركة ..

بذلك كان لابد من التصادم بين الحركة الثورية العربية التي تقف
ألى جانب الشعوب وبين الحركة الصهيونية العالمية التي تمثل دورا
جديدا بل مظهرا جديدا للاستعمار الغربى .

الاعتبار الثانى :

ان ارادة الامة العربية متمثلة بإرادة رائدها عبد الناصر بعد
ان توفرت لها أسباب القوة ، انطلقت تؤدى رسالة العرب الانسانية،
وهى رسالة خالدة متطورة ، بعد أن أقعدها العجز وعدم قدرتها
على الحركة عن المساهمة فى دورها الانسانى الذى بدأته بصيحة
الحق والتوحيد أطلقها النبى العربى محمد بن عبد الله قبل أربعة
عشر قرنا فى الصحراء العربية وحملها من بعده أبطال آمنوا بها
وتحملوا مسئولية تأديتها بامانة وقديسية ووفاء ، ثم توقف العرب
عن المساهمة الايجابية فى خدمة الانسانية حقبة من الزمن الى أن
كانت الثورة ، عندئذ ظهر الزعيم الذى يقدر على تحمل المسئولية
القومية والتاريخية وتأدية رسالة العرب الانسانية متطورة بما
يتلاءم مع متطلبات ومستلزمات العصر الذى نعيشه وهو عصر
ثورات الشعوب من أجل تحريرها واستقلالها . . واستأنف العرب
بذلك تأدية رسالتهم التى أكد عبد الناصر بالتجربة العملية بانها
تهدف الى تحرير الشعوب من عبودية الاستعمار ، والى تصفية
الاستعمار من العالم بصفة نهائية والمحافظة على سيادة كل شعب
محافظة تامة . بدأوا يساهمون مساهمة ايجابية فعالة فى معارك
الاستقلال التى تخوضها الشعوب دون أن تكون لهم أية مقاصد
توسعية او أية نوايا عدوانية . . وكان من الطبيعى جدا أن تكون
المساهمة العربية الايجابية أكثر تركيزا ووضوحا فى قارتى أفريقيا
وآسيا لكون شعوبهما أكثر شعوب الارض ثورة على الاستعمار
فى هذه الحقبة من الزمن ، ولكونهما تتصلان بالعرب اتصالا وثيقا
مباشرا ، وترتب على هذا الدور الجديد الذى بدأ العرب يؤدونه
حتمية التصارع بينهم وبين الصهيونية العالمية التى اتخذت من
القارتين ، فى فترة عجز العرب وعدم قدرتهم على الحركة ، ميدانا
واسعا لمناوراتها وتآمرها على سلامة وأمن واقتصاد شعوبهما .

والاعتبار الثالث :

ان الحركة الثورية العربية ، يتزعمها ويقودها عبد الناصر ، ارتفاعا

منها الى مستوى معركة الوجود مع الصهيونية العالمية ، وجدت ان الحرب بينها وبين الصهيونية العالمية لا يقتصر أمرها في ميدان واحد ، في فلسطين مثلا فحسب ، انما يجب ان تمتد الى كل مكان وصلت اليه الصهيونية العالمية . . ولما كانت أفريقيا وآسيا اكثر المناطق العالمية حساسية بالنسبة للعرب ، مصيرا ومستقبلا ، كان لابد من مطاردة عنيفة للصهيونية في هاتين القارتين تجعل مسئولية محاربة الصهيونية على مستوى المصير والوجود .

بسبب هذه الاعتبارات الثلاث انتقلت المعركة الى أفريقيا وآسيا بين العرب الذين يساندون بمسئولية وايجابية شعوب هاتين القارتين في معارك التحررية التي تخوضها ، وبين الصهيونية العالمية التي تحاول جاهدة ان تكون القارتان مجالا تستثمر فيه أموالها وسوقا تصرف فيه منسوجاتها الصناعية .

وعلى الرغم من أن الصهيونية العالمية كانت أسبق في غرس جذورها السامة من الحركات الاستقلالية في القارتين ومن الثورة في العالم العربي ، الا أن فرصة العمر التي كانت قد أتت لها لتعمل منفردة وبدون مقاومة في كثير من مناطق العالم انتهت يوم تفجرت الثورة في القاهرة ، وبانتهاء تلك الفرصة بدأ العرب بدورهم يمسكون بزمام المبادرة في معركة الوجود التي يخوضونها ، بل انهم بدأوا يعيشون فرصة العمر وعهدهم الذهبي . . بذلك بدأ الزحف العربي المقاوم لخطر الصهيونية .

انطلقت الارادة العربية لتدك معاقل الصهيونية والاستعمار في كافة انحاء العالم وفي أفريقيا وآسيا بشكل خاص ، وبدأت الصهيونية التي عاشت أعواما أربعة تعمل بحرية وبدون مقاومة ، تحس بالخطر الشديد يلفحها من كل جانب . . وأخذت قلاعها تنهار وجذورها تقتلع ، والاردية الخادعة التي يتسربل بها للتضليل تمزق ، ولم تعد الاداة الساحرة الخفية التي أعدها الاستعمار لاكمال مهمته بعد أن كشفها عبد الناصر على حقيقتها . فذكرت شعوب أفريقيا وقادتها الاحرار الاخطار الجسيمة التي يتعرضون لها وتعرض لها رايات استقلالهم الحديثة من جراء وجودها ومن الدور الاستعماري الذي تؤديه . . فبدأت الابواب التي فتحت لها على مصراعيها تغلق في وجهها وبدأت جذورها التي غرست أيام كان المستعمر هو الحاكم

الفعلى تقتلع ، وبدأت موجاتها العاتية تنحسر وترتد وتتحطم على
صخرة عبد الناصر أمل العرب الكبير فى تحقيق أهدافهم القومية
الكبرى .

لقد أضحت أفريقيا المتحررة ، الاقطار التى ارتفعت فى سماءها
رايات الاستقلال وتولى الحكم فيها قادة وطنيون يحافظون على
الانتصارات والمكاسب التى تحققت ، ويمارسون الاستقلال ممارسة
فعلية أمثال سيكوتورى فى غينيا ، ونكروما فى غانا ، وموديبو كيتا
فى مالى ، تدرك أخطار الصهيونية التى نهبها وحلر منها الرئيس
عبد الناصر ، ولقد ترتب على ذلك مسئوليات تتحملها الجمهورية
العربية المتحدة تعتبر تنمة الى الدور الكبير الذى لعبته ثورة ٢٣
يوليو فى الثورات الوطنية والقومية التى تفجرت فى أنحاء القارة
الافريقية وكانت ثمارها رايات الحرية تخفق فى كل جانب من جوانبها

كانت أفريقيا فى الفترة الممتدة بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٥٢ الى
فترة السبع سنوات الممتدة بين نهاية الحرب العالمية الثانية وقيام
ثورة ٢٣ يوليو قد بدأت تعيش مرحلة حاسمة من تاريخها فجميع
شعوب القارة بدأت تطالب بالاستقلال والتحرر بعد انتهاء الحرب ،
ولعل الحرب لعبت دورا كبيرا فى اليقظة الافريقية .. ليس معنى
هذا ان نضال الشعوب الافريقية بدأت بنهاية الحرب العالمية
الثانية ، ولا ان عمر هذا النضال لا يتجاوز الخمسة عشر عاما ، إنما
يعنى أن مرحلة قطف التمار بدأت قبل سنوات قليلة ، ويعنى
كذلك ان الافريقين الذين ذهبوا بهم الدول الاستعمارية الى ميادين
القتال ، والذين لعبوا دورا كبيرا فى تحقيق النصر للحلفاء ، جرفوا
وهم يتنقلون من قطر الى آخر ومن جبهة الى جبهة الشئ الكثير
عن معانى الحرية والاستقلال .. وعندما عادوا الى بلادهم بدأوا
يترجمون المعانى التى تفهموها الى شعارات ، وكانت جميع الشعارات
تطالب بالاستقلال التام والتحرر من ربة الاستعمار وعبوديته .

كان لابد من التصادم بين هذه الشعوب وبين الدول الاستعمارية
ذلك ان تناقضا حتميا وجد وما زال موجودا ، فالشعوب التى
تفتحت عيونها على خيرات بلادها تسرق ليتخمر المستعمر وتبقى
هى جائعة ، وعلى جهد أبنائها يستغل ليشرى المستعمر وتبقى هى
فقيرة ، وعلى كنوز أرضها تستلب لبنى بها المستعمر حضارته

وتبقى هي جاهلة ، وعلى حقوقها مفتصة ليبقى المستعمر سييذا
وتبقى هي طبقة عبيد له .. عندما تفتحت عيونها على كل ذلك
وجدت نفسها تخوض معركة مصير مع المستعمر الغاصب .

كذلك الحال بالنسبة الى المستعمرين الغاصبين ، لقد اعتبروا
تحرر افريقية ، أو تحرر شعوب افريقية، خسارة لا تعوض ، تفقدتهم
الرفاهية والاموال والخيرات والسعادة .. وفوق ذلك كله فان
التحرر يعنى عند الاستعمار خسارة في الاستراتيجية ، ولذلك
قاومت الدول الاستعمارية كل حركة تحررية ، وحاولت جاهدة
اسكات كل صيحة تحرر ودفن كل شعار وطني .. ومن هنا ،
من التناقض التاريخي في الارادة ، اى في ماتريد الشعوب وما
يريد الاستعمار ، نشأ الصراع الذى مازال محتاجا الى يومنا هذا،
وسيبقى كذلك الى ان تنتصر الشعوب بالوصول الى التحرر .

كان الصراع اذن ، أمرا حتميا وتاريخيا ، وقد بدأ ببداية
الاستعمار ، الا انه أخذ شكل الثورات الهادفة المنظمة بعد الحرب
العالمية الثانية ، فشهدت القارة الافريقية سلسلة من الثورات ،
وتجاوبت في اصداؤها صيحات الاستقلال والتحرر حتى شملت
ارجاء هذه القارة التى كانوا يطلقون عليها « القارة السوداء » ورد
المستعمر على هذه الصيحات والثورات بالغة التى لا يعرف سواها
وهي لغة القتل والتدمير والابادة . واتخذ من ذلك سياسة لا يحيد
عنها ودستورا مقدسا يتقيد به ، ومن جراء ذلك ، شهدت شعوب
هذه القارة فى السنوات التى تلت الحرب العالمية الثانية صنوفا
من الاضطهاد وانواعا من الحروب لم تشهد مثلها البشرية فى
تاريخها الطويل .

وضع الاستعمار نصب عينيه الاحتفاظ بالثروة التى يستبد
بها وبالشعوب التى يستعبدوها ، وبالأرض التى يحتلها ، وبالمناجم
التي يفتصبها وكانت وسيلته فى ذلك ، القوة ، فاتبعها ضد كل
شعب فى كل قطر من الاقطار الافريقية البائرة ، استعمل السلاح
الفتاك بانواعه ضد الشعوب العزلاء من السلاح .. من أبسط
أنواعها ، فكانت المعركة التى استعرت ، وما زالت تستعر فى عدة
أقطار لم تحقق استقلالها بعد ، بين الاستعمار وبين الشعوب ،
غير متكافئة فى السلاح ، ومع ذلك فان الشعوب حققت الكثير

من الانتصارات. وكان سر انتصار الشعوب على الرغم من قوة الاستعمار المادية يكمن في ارادة هذه الشعوب وتصميمها على نيل استقلالها واستعادة حريتها . .

كانت الارادة هي سلاح الشعوب عندما كان الاستعمار يملك كل اسباب القوة المادية من دبابات وطائرات ومدافع ، ومع ذلك فان سلسلة من الهزائم أصابته . . ولكنها لم تكن هزائم قاتلة بمعنى أن الاستعمار لم يستسلم بعد كل هزيمة ، إنما كان ببقية القوة أتى يملكها يشن على الشعوب نوعا جديدا من الحروب . . عرف هذا النوع بحروب الإبادة . ولقد اتبعها الاستعمار ، ان كان هذا الاستعمار متمثلا بالانجليز في كينيا ، أو بالبلجيكيين في الكونغو ، أو بالفرنسيين في الجزائر أو بالبرتغاليين في أنجولا ، ضد أفريقية كلها لآخماد ثوراتها ، وبراكينها الوطنية المتفجرة ، ومع ذلك وعلى الرغم من مئات الألوف وربما الملايين من شهداء أفريقية الذين صرعتهم قوى الاستعمار فان الثورات بقيت مستمرة ، ولعلها كانت تزداد اشتعالا كلما ازدادت قوى الاستعمار بطشا ، وببقاء هذه الثورات كتب الخلود لهذه الشعوب .

هكذا ، عاشت أفريقية ، في الفترة ما بين ١٩٤٥ و ١٩٥٢ . . . صيحات مدوية ، وشعارات مرفوعة ، وثورات متأججة ، دون أن تتحقق الامانى لعدم وجود السند القوي أو التجربة الثورية الناجحة التي يمكن لهذه الشعوب المناضلة أن تستفيد منها أو تعتمد عليها

ولذلك فان عام ١٩٥٢ كان نقطة تحول في تاريخ أفريقية كلها كما كان نقطة تحول في تاريخ الامة العربية . في ذلك العام تفجرت في القاهرة ثورة عبد الناصر ، وغدت هذه الثورة بالتحرر الذي حققته لمصر ولغيرها من أقطار عربية مجاورة بعيدة ، وبالمبادئ المقدسة التي آمنت بها واتخذتها دستورا مقدسا لها . وبالإساليب التي تنتهجها في معالجة القضايا والمشكلات ، وبالروح الجديدة التي انطلقت في شمال القارة لتتحول الى تيار وطني جارف يعم كل القارة ، السند القوي والقاعدة النضالية الكبرى لجميع الشعوب الافريقية المناضلة لنيل حريتها .

كانت هذه الشعوب تحارب قوى الاستعمار حتى عام ١٩٥٢ بدون أي سند أو أية امكانيات ، وغدت بعد ثورة عبد الناصر تعتمد

على سند قوى وامكانيات مادية كبيرة ، وسرعان ما تغيرت ظروف
المعركة ، ثم سرعان ما بدأت الشعوب المكافحة تشدد من الضربات
والضغط على الاستعمار . . وتحولت افريقية كلها بعد عام ١٩٥٢
الى اتون تتفجر منه حمم الموت ، ولم تعد تنفع الاستعمار أساليبه
ولا حرب الإبادة التي يشنها ، ولا أسلحة حلف الاطلنطي التي
يستخدمها . ثم سرعان ما تهاوت قوى الاستعمار وتبددت غيومه
المظلمة لتشرق على افريقية شمس الحرية بعد أن احتجبت
مئات السنين .

وارتفعت على الارض الافريقية رايات واعلام الحرية ، واخذت
هذه الرايات والاعلام تزداد كل سنة ، حتى بلغ عدد ما ارتفع منها
خلال عام واحد (١٩٦٠) أربع عشرة راية ، وسترتفع على هذه
الارض رايات اخرى خلال هذا العام ، ولن تاتي نهاية العام القادم
حتى تكون الاعلام الاجنبية قد نكست وأزيلت عن كل أرض
افريقية . ولم يكن لهذه الاعلام والرايات ان ترتفع لولا المساندة
الثورية التي قدمتها القاهرة لكل ثورة اشتعلت في افريقية ، على
الاقل كان لهذه المساندة اثر كبير وفعال في تقصير الطريق والوصول
بسرعة الى الاهداف ، ثم كان للتجارب ، والانتصارات التي حققتها
ثورة عبد الناصر آثار فعالة في انتصار الثورات .

لقد استفادت جميع الشعوب الافريقية وشعوب اخرى غير
افريقية من تجارب الثورة العربية ، استفادت من معركة احتكار
السلاح ، ومن الحرب الاقتصادية ، ومن معركة الاحلاف ، ومن
القوانين الثورية ، والاصلاحات الجذرية ، ومن عمليات الهدم
والبناء ، ومن التجربة الاشتراكية التعاونية الديمقراطية النابعة
من ظروف واحتياجات الشعب ، كذلك استفادت من العدوان
الذي تعرضت له مصر . أو بالأحرى الذي تعرضت له ثورة عبد
الناصر العربية في مصر العربية . ولعل من أسباب العدوان الرئيسية
تلك المساندة الفعالة التي تقدمها ثورة ٢٣ يوليو وما زالت تقدمها
للسعوب الثائرة ضد الظلم والطغيان والاستبداد والاستعمار .

وفي خلال سنوات قليلة ، بعد ان توافرت للشعوب المساندة
الاكيدة ، والامكانيات الثورية المادية والدعائية ، ثم التجربة الثورية
الناجحة ، كانت معركة المصير بين الشعوب والاستعمار تنتهي ،

ولاول مرة في تاريخ الشعوب الافريقية ، بهزيمة للمستعمر وانتصار
للشعوب . . .

كان المستعمر في الماضي ، قبل عام ١٩٥٢ هو الذي يكسبه
المعركة ، بدليل ان افريقية كلها - جميع اقطارها وشعوبها بدون
استثناء - كانت حتى ذلك العام محتته من قبل الاستعمار او
خاضعة لنفوذه ، ولم تكن في هذه القارة الواسعة الكبيرة دولة
واحدة او قطرواحد يمارس الاستقلال بحرية تامة ، كان الاستعمار
هو الحاكم وهو السيد ، وكانت الشعوب صاحبة القارة وخيرات
ارضها لاتملك من امرها ولا من خيراتها شيئا . . وكانت جميع
ثورات هذه الشعوب وانتفاضاتها تخمد بقوة السلاح .

وتبدلت الحال بعد الثورة التي تفجرت في القاهرة ، انتصرت
ازادة الشعوب ، وكان معنى هذا الانتصار ان الاستقلال بدأ يتحقق ،
وتذوق الافريقيون بعد فترة طويلة من الاستعباد طعم الحرية . .
وتضامنت الشعوب حديثة الاستقلال مع كل ثورة ، ووقفت القاهرة
الى جانب الاقطار حديثة الاستقلال تمدها بالخبرة والامكانيات
الى جانب الشعوب النائرة تمدها بما تحتاج اليه المعركة . . وكفل
ذلك التعجيل في الزحف المقدس .

وغدت « افريقية للافريقيين » ليس مجرد شعار او هتاف ،
انما حقيقة يلمسها العالم كله ، واصبحت هذه القارة التي كانت
تعيش كما يشاء الاستعمار ، تفرض مشيئتها على الاستعمار ، وأكثر
من ذلك ، بدأت هذه القارة تحس بوجودها وتلعب دورها التاريخي
الانساني في المعركة المصرية التي تخوضها الانسانية بعد ان كانت
كمية مهملة لا قيمة لارادتها ولا وزن لصوتها . والمشارك التي
تشارك فيها هذه القارة كثيرة ومتنوعة . . في الامم المتحدة وفي
ميدان الحرب الباردة ، وفي الصراع بين الكتلتين العالميتين : الغربية
والشرقية ، وفي كافة المجالات السياسية والاقتصادية ، ودورها في
هذه المجالات كبير وفعال ، بدليل ان صوت الدول الصغيرة في
الامم المتحدة أصبح بوجودها أكثر قوة ، وان سياسة الحياد
الايجابي والتعايش السلمي وعدم الانحياز وهي السياسة التي
جعل منها عبد الناصر قوة عالمية تقلل من خطر الحرب ، أصبحت
باعتناق الدول الافريقية لها تؤدي دورا له فعالية متزايدة ، وأن

معركة الحرية في العالم هي الآن بمساندة أفريقية تحقق المزيد من الانتصارات ، ولئن كانت هذه القارة ، أو دولها متخلفة اقتصاديا وربما في مجالات أخرى غير الاقتصاد ، فان مسئولية ذلك يتحملها المستعمر ، ولكن رغم هذا التخلف فان هذه الاقطار حديثة الاستقلال لا تبحث اليوم عن مسئولية تخلفها ، اتما هي تبحث عن كيفية الخلاص من هذا التخلف . . وتتخذ من المعجزات التي حققتها الجمهورية العربية المتحدة ، القلعة الحصينة في شمال شرقي القارة ، قدوة حسنة لها ، ولذلك فان هذه الشعوب أو هذه الاقطار ، وهي تخوض معركة تأييد الاستقلال تعتمد الى الثورة على التخلف الاقتصادي هادفة الى تحرير اقتصادها لتضمن لنفسها تدعيم الاستقلال ، ذلك أن هذه الشعوب بما خبرته عن الثورة العربية تؤمن ايمانا عميقا بأن لا قيمة للاستقلال ما لم يكن الاقتصاد مستقلا متحررا ، والاقتصاد الأفريقي كله ، في كل قطر من الاقطار ، خاضع أو هو تحت السيطرة الأجنبية الفعلية أو ملك للشركات الاحتكارية . هكذا عند ما يعلن الاستقلال .

وبسبب وجود الاقتصاد كله في أيدي المحتكرين الاستعماريين فان المعركة التي تخوضها شعوب أفريقية لم تنته بعد ، أو انتهت لم تنته بالاستقلال ، ان هذه المعركة بدأت مرحلتها الحاسمة وهي مرحلة المصير بارتفاع راية الاستقلال . . ذلك أن الممارسة الفعلية للاستقلال تعنى قبل كل شيء تحرير الاقتصاد ، لان وجود الشركات الأجنبية أو الاحتكاريين الأجانب يعنى وجود المصالح الأجنبية وذلك يعنى بطبيعة الحال وجود النفوذ الأجنبي . ولا قيمة للاستقلال عندئذ ، أى أن الاستقلال يكون اسميا .

ومن أجل هذا ، كي لا يكون استقلال الاقطار الأفريقية التي تنتزع حريتها اسميا ، فان هذه الاقطار بدأت معركتها الحاسمة بعد اعلان استقلالها مباشرة ، هذه المعركة هي معركة التحرر . . . بمعنى أن الشعب حديث الاستقلال ينبغي ممارسة فعلية لهذا الاستقلال ، وأية ممارسة فعلية من قبل شعب حديث الاستقلال تعنى اتباع سياسة خارجية وداخلية أسسها ثورية وهدفها توفير الرخاء للمواطنين . ويستحيل توفير مثل هذا الرخاء ما لم تكن هناك ثورة جديدة على الاحتكاريين والاقطاعيين والشركات الأجنبية .

ومثل هؤلاء موجودون في كل بلد تعرض الى السيطرة الاجنبية ، لان هذه السيطرة ، عندما تتحقق للاجنبي تعمل على تأكيد وجودها وبقائها بالاستيلاء على الثروات وبالعامل على ابقاء الشعب فقيرا جائعا ومريضا . . وبسبب ذلك فاننا نرى في كافة الاقطار الافريقية ثورات مستمرة رغم اجتيازها الطريق الموصلة الى الاستقلال . هذه الثورات بالنسبة لافريقية لا تقل اهمية عن الثورات السياسية التي كان من نتائجها تحقيق الاستقلال ان لم تزد ، بل ان هذه الثورات ضرورة حتمية لمواصلة السير . . . فالطريق النضالية التي تسلكها الشعوب لا تنتهي عند حد الاستقلال ، انما هي تستمر حتى تبلغ حد التحرر ، ثم تستمر بعدئذ حتى تبلغ حد القضاء على العملاء والانتهازيين الذين يشكلون خطرا على مكاسب الشعوب أكثر من الاخطار التي يسببها الاستعمار ذاته .

وكما أن الجمهورية العربية المتحدة ساهمت بايجابية تامة في معركة الاستقلال التي تخوضها شعوب افريقية فانها كذلك تساهم بايجابية تامة في تدعيم الاستقلال وحمايته وتحرير الاقتصاد من الأيدي القذرة التي كانت تستبد به . انها تقدم خبرتها وتجربتها للدول حديثة الاستقلال ، وتقدم لها العون المادي والبعثات الفنية ، ولم تبخل على أي قطر افريقي من العون الذي يحتاج اليه ، ولقد ترتب على هذه المساهمة من الجمهورية العربية المتحدة ان أبوابا كثيرة ونوافذ متعددة انفتحت في وجه الصهيونية العالمية التي بنى استراتيجيتها على أساسين :

الأول : احتلال المسالم العربي واتخاذ قاعدة احتشاد ومركز انطلاق .

والثاني : بسط نفوذها الاقتصادي على افريقيا كلها وجنوب شرقي آسيا .

كانت فرنسا وهي تستعمر الكثير من الاقطار الافريقية قد اتاحت الفرصة أمام الصهيونية العالمية كي تنشئ علاقات دبلوماسية وتجارية واقتصادية وثقافية مع تلك الاقطار ، تماما كما فعلت انجلترا وبلجيكا والبرتغال في مستعمراتها ، وحالت دون قيام أي نوع من الرابطة أو الاتصال بين شعوب تلك الاقطار وبين

العرب خاصة بعد ثورتهم التاريخية ، فبقيت اسرائيل عن طريق بعثاتها تعمق جذورها كي تتمكن من القيام بدورها بعد الاستقلال . . وبالفعل بعد ارتفاع راية الاستقلال كانت اسرائيل تتقدم بعروض سخية كالقروض المالية طويلة الامد ، والخبرة الفنية . يقصد بقاء الروابط بينها وبين هذه الاقطار حديثة الاستقلال لتبقى امامها فرص العمل مفتوحة . . ولكن آمال الصهيونية بدأت تتحطم بقبضة عبد الناصر الفولاذية فبعد ان تحررت بعض الاقطار الافريقية من السيطرة الفرنسية وتولت الحكم فيها قيادة وطنية توطدت العلاقات بينها وبين القيادة الثورية في الجمهورية العربية المتحدة وتولى عبد الناصر قائد الحركة الثورية العربية مهمة كشف الادوار الاستعمارية التي تضطلع بها اسرائيل في القارة الافريقية ، وقد تحققت انتصارات حاسمة في هذا المجال عندما تجاوب سيكوتوري وموديبو كيتا مع عبد الناصر في ادراك اخطار اسرائيل . انهما بذلك اوصدا الابواب باحكام في وجه الصهيونية العالمية .

وقبل ذلك كان مؤتمر الدار البيضاء الذي اشترك فيه الرئيس عبد الناصر ودكتور نكرومه رئيس جمهورية غانا وسيكوتوري رئيس جمهورية غينيا وموديبو كيتا رئيس جمهورية مالي والملك الراحل محمد الخامس ملك المغرب ، وقد تمكن فيه الرئيس عبد الناصر من اقناع الزعماء الافريقيين باخطار مهمة اسرائيل فأصدر المؤتمر قرارا يعتبر اسرائيل رأس جسر للاستعمار .

وقبل ذلك أيضا كانت سلسلة من المواقف الثورية وقفتها الجمهورية العربية المتحدة . داعمة ومؤيدة بكل امكانياتها المادية والمعنوية ، الى جانب جميع شعوب القارة ، وقد كان لهذه المواقف اثر بعيد جدا في كشف الادوار التي لعبتها وتلعبها اسرائيل في وقوفها المستمر الى جانب الاستعمار ضد الشعوب الافريقية وغيرها من شعوب الارض .

في الكونغو ، وقفت الجمهورية العربية المتحدة تؤيد وتدعم كفاح الشعب من اجل التحرر والاستقلال ، ووقفت اسرائيل قاعدة الصهيونية والاستعمار تؤيد وتدعم النفوذ الاستعماري وعملاء الاستعمار .

وفي الجزائر تتحمل الجمهورية العربية المتحدة مسؤولية كبيرة في مواصلة الحرب ضد فرنسا ، وتقف إسرائيل قاعدة الصهيونية والاستعمار شريكة للاستعمار الفرنسي في حرب الإبادة التي يشنها ضد الشعب هناك .

وفي التفجيرات الفرنسية ، وقفت الجمهورية بكل قوتها تقاوم هذه التفجيرات وتفضح أخطارها على الشعوب الأفريقية والسلام العالمي ، ووقفت إسرائيل قاعدة الصهيونية والاستعمار تؤيد وتدعم فرنسا في استهتارها بالرأي العام الأفريقي والعالمي .

وفي التفرقة العنصرية ، وقفت الجمهورية بكل أجهزتها الدعائية تمندد وتقاوم هذه السياسة الرعناء ، ووقفت إسرائيل تؤيد وتدعم حكومة اتحاد جنوب أفريقية التي تصر على اتباعها .

كذلك الحال بالنسبة لكل قضية تحرر في أفريقيا ، الجمهورية العربية المتحدة إلى جانب الشعوب وقياداتها الوطنية، والصهيونية العالمية إلى جانب الاستعمار وعملائه وكذلك الحال أيضا بالنسبة لكل قضية تحرر في العالم .

الجمهورية العربية المتحدة تدعم وتؤيد كفاح الشعوب في قبرص وفي جنوب شرق آسيا وفي كوبا وأمريكا اللاتينية ، والصهيونية العالمية تشد أزر الاستعمار وتشاركه التآمر على قضايا الشعوب .

وقد كان لهذه المواقف المتناقضة التي يتقفا الإرادة العربية متمثلة بالجمهورية العربية المتحدة تؤيد كفاح الشعوب ، والإرادة الصهيونية متمثلة بإسرائيل قاعدتها تقاوم تحرر الشعوب ، مع قدرة الحركة الثورية العربية يقودها عيد الناصر على الحركة والانطلاق والعمل الثوري ، كل الأثر في إحباط مؤامرات الصهيونية وخططها وفي إلحاق النكسات والخسائر بها بل وفي تحطيم القلاع التي بدأت تشيدها في كافة المناطق المحيطة بالعالم العربي . . . ثم في كشفها بوجهها الاغبر أداة استعمارية ومظهرا جديدا من مظاهر الاستعمار في العالم الذي يتطور في هذه المرحلة ليتخذ شكلا خادعا للشعوب .

ترتب على هذا الفضح بحقيقة إسرائيل ، والكشف عن نواياها ،

وتمزيق الاردية الخادعة التي ترتديها . . . ان شعوب العالم والدول حديثة الاستقلال وعيت على الدور الذي تلعبه أداة للاستعمار فصارت تخشى تسليها . وتوصد الابواب في وجهها وتقتلع الجذور التي زرعتها أيام كانت تتحرك بحماية الاستعمار بدون مقاومة .

بذلك ، كما تؤيد الادلة التاريخية وسير الاحداث وتطورها ، تكون الحركة الثورية العربية التي بدأ انطلاقها الثوري يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ قد تحملت مسئولية قومية ودولية في محاربة الصهيونية العالمية وتصفية الاستعمار ووقف زحف الشيوعية الدولية .

وبذلك يمكن الجزم بأنه لولا الثورة العربية وقيادة عبد الناصر لها ، لما ساهم العرب في تحرير شعوب أفريقيا ، ولما قدروا على المساهمة في معركة الحرية في العالم . . لما تمكنوا في كشف الابعاد التي ترمى اليها الصهيونية العالمية ولا المهمة الاستعمارية التي تضطلع بها اسرائيل ، ولما حققوا في معركة المصير التي يخوضونها هذه الانتصارات التي سيكون لها اثر كبير في نتائج المعركة المحتدمة بضراوة وعنف مع الصهيونية العالمية ومع جميع الاعداء الذين يريدون شرا بالعرب .

وبذلك أيضا ، تقول صفحات كثيرة من التاريخ : لولا ثورة ٢٣ يوليو وشخصية جمال عبد الناصر لما ارتفع العرب الى مستوى الاحداث . . . لما حققوا هذه الانتصارات الضخمة ولما قدروا على استئناف حمل رسالتهم ، رسالة التحرر لحرث الشعوب والسلام لبنى البشر . يؤكدون فيها للعالم قدرتهم على المساهمة في خدمة الانسانية ، ومقدرتهم على مواجهة التحدى بارادة لا تلين . غير ذلك ، هناك الشأن العالمى الكبير الذى أصبح العرب يتمتعون به ، والدور القيادى الخطير الذى غدا العرب يضطلعون به على المستوى الدولى .

قبل الثورة ، وبمنظرة عاجلة على صفحات التاريخ ، نرى أن أمة العرب بفعل غدر الحكومات ، وتواطؤ الحكام ، وتآمر الاستعمار ، كمية مهمة لا شأن لها في احداث العالم ، عاجزة عن صد الاخطار

عنها وعاجزة عن اثبات وجودها في الاسرة الدولية ، وعاجزة عن محو العار الذي لحق بها من جراء عدم قدرتها بسبعة جيوش على الحاق الهزيمة بالمعصابات الصهيونية واستعادة فلسطين منها .

وقبل الثورة أيضا ، وينظرة عاجلة على صفحات التاريخ ، نرى الدول العربية كلها تدور كالنجوم المظلمة الكثيفة في فلك الاستعمار الغربي . . . كانت البلاد العربية كلها ، اللهم غير سوريا ، خاضعة للنفوذ الاستعماري ، ونراها كذلك « توابع » مجرد توابع للدول الاستعمارية لا ارادة لها في سياستها الخارجية أو شئونها الداخلية .

ذلك حال العالم العربي كما ترسمه صفحات التاريخ قبل الثورة . . . ولكن تلك الصفحات رغم ما تحمل من سيئات غدت شواهد للأجيال العربية الصاعدة تبين كم هي عظيمة ، ثورة ٢٣ يوليو التي انتقلت بالعرب من الدور الا ارادي الى الدور القيادي في منطقتهم العربية وفي المجال الدولي .

ولئن كانت اجزاء كثيرة من العالم العربي ، ما زالت خاضعة للنفوذ الاجنبي بسبب بطش العملاء ، فان تاريخ العرب الحديث يرتبط الارتباط كله بثورة ٢٣ يوليو ، فهي منذ عام ١٩٥٢ تمثل الارادة العربية والتاريخ العربي ، وتعبّر بعمق واصالة عن المشاعر العربية ، وتبث في تادية الرسالة العربية وتضطلع بالواجب القومي والدولي المترتب على الامة العربية تحمله .

غدت القاهرة بعد الثورة العربية التي انطلقت من القاهرة تحمل التأييد المبادي والمعنوي لجميع شعوب الاراض الساعية وراء حريتها رمزا كبيرا لكل حركة ثورية في العالم . . . بل ان القاهرة التي كان يحكمها السفير البريطاني من قصر الدوبارة ، غدت كلمتها بعد الثورة اربابا تخشاه بريطانيا . . . وأكثر من ذلك ، غدت القاهرة تؤثر في السياسة الدولية أكثر بكثير من لندن أو باريس ، وتقف في الصف الاول مع واشنطن وموسكو المسكتين بالصواريخ الذرية ، تخمل الدعوة الاكيدة الصادقة لسلم يظل العالم وبحرره من كابوس الحرب الذرية المخيفة .

كان مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ ، ولم يكن قد مضى على الثورة ثلاث سنوات ، هو الاطلاقة الاولى للثورة على المستوى الدولي ،

وقف عبد الناصر فيه يعلن ارادة الامة العربية في اتباع سياسة الحياد الايجابي والتعاضد السلمي ويؤكد تصميم العرب على تصفية الاستعمار ومساندتهم الفعلية لكل شعب يكافح من اجل تحرره واستعدادهم الاكيد لتحمل مسؤولية دولية في دعم السلام العالمى وتخفيف حدة التوتر التى كانت نهاية الحرب العالمية الثانية بداية لها بين المعسكرين الشرقى والغربى الذى انقسم اليه الحلفاء .

وعلى الرغم من ان صيحة الحياد الايجابي الكبرى انطلقت من باندونج الا ان مصر الثورة منذ قيام الثورة كانت تمارس الحياد وتتخذه أساسا لسياستها الخارجية بعلاقاتها بالدول ، لذلك كان اشتراكها فى ذلك المؤتمر التاريخى من أجل وضع تجربة الحياد فى خدمة الدول المشتركة ، والمساهمة مع تلك الدول فى وضع الاسس التى تكفل للدول حديثة الاستقلال بشكل خاص عدم الوقوع فى براثن الدول الكبيرة ذات الاستراتيجية البعيدة والاطماع الكبيرة ، والتضامن مع تلك الدول فى خلق تعاون مشرئ مبنى على احترام السيادة القومية وعدم التدخل فى الشئون الداخلية ، من شأنه أن يقلل من حدة التوتر العالمى التى تفرض على جيلنا أن يعيش باستمرار على أطراف أعصابه .

وقد لعب جمال عبد الناصر فى ذلك المؤتمر الذى كان بداية الطريق لتوحيد كلمة الدول الحريضة على استقلالها وانتصاراتها القومية أبرز الأدوار التاريخية وأهمها فى وضع المبادئ التى غدت دستوراً لكل دولة ترغب فى ممارسة ارادتها واستقلالها ممارسة فعلية ، وتوضيح معالم طريق الحياد الايجابي على هدى تجربة الثورة فى أعوانها الثلاث الأولى ، وتأکید أهمية المسؤولية التاريخية التى تتحملها الدول المحايدة فى انقاذ الحضارة ، جهد الانسان عبر آلاف السنين ، من اخطار الفناء والتدمير ، وتمكن أن يرتفع بمعالجة القضايا القومية العربية الى مستواها الدولى الصحيح وأن يحقق لها ، خاصة لقضية فلسطين ، أول نصر على النطاق الدولى فانتزع بذلك زمام المبادرة من الصهيونية العالمية التى كانت تمسك به منذ قيامها عام ١٩٤٨ .

وانتجح المؤتمر فى تحقيق الاغراض التى انعقد من أجلها ، وكان

معنى ذلك بالنسبة للامة العربية أن دورا قياديا دوليا بدأت تتحمله ... وقد تولى عبد الناصر بمسئولية واعية قيادة هذه الامة وهى تؤدي دورها التاريخى الجديد الذى يمثل جانبا هاما من رسالتها الانسانية ، وعلى الرغم من الأعاصير الكثيرة التى اصطفتها الاستعمار والشيوعية الدولية لتعوق سير قافلة الحياد الايجابى وسير امتنا بشكل خاص ، فان انتصارات كثيرة تحققت بفعل ارادة عبد الناصر وتصميمه والتفاف الجماهير الشعبية حوله تملئه التأييد التام والثقة المطلقة .

كان الامر يتطلب بعد الزحف الذى انطلق من باندونج أن تتم لقاءات واجتماعات بين أقطاب الحياد فى العالم تمثلت فى مؤتمر بريونى فى صيف عام ١٩٥٦ الذى ضم جمال عبد الناصر والبانديت لاهرو والمارشال تيتو ، وفى سلسلة من الاتصالات والزيارات بين الرئيس العربى وعدد كبير من رؤساء الدول حديثة الاستقلال .

نتج عنها زيادة التعاون بين دول الحياد وتوطيد العلاقات بينها وتوحيد جهودها فى محاربة الاستعمار وتصفيته ، وفى حماية الدول الصغيرة حديثة الاستقلال من افتراس الدول الكبرى ، ثم فى خلق جبهة قوية تشكل حاجزا بشريا وجغرافيا بين الكتلتين المتنازعتين تعمل بصدق وارادة لتخفيف حدة التوتر وصيانة السلم العالمى .

أن قيام مثل هذه الجبهة الفاصلة بين المعسكرين الشرقى والغربى يعتبر خطرا على استراتيجيه كل منهما ... لذلك كان اللقاء اللاارادى بينهما فى محاربة دعوة عدم الانحياز التى انطلقت من القاهرة فى ابريل ١٩٦١ والتى من شأنها بعد المؤتمر التاريخى فى يوغسلافيا أن تكون قادرة على وقف زحف المعسكرين وأن تجعل من عدم الانحياز أساسا جديدا فى علاقات الدول الكبرى والصغرى تماما كما كان اللقاء اللاارادى بينهما فى محاربة فكرة الحياد عند ظهورها أثر ارتفاع رايات الاستقلال فى أقطار كثيرة كانت خاضعة للنفوذ الاستعمارى ... وهما كما كان اللقاء اللاارادى بينهما فى محاربة القومية العربية تيارا وفلسفة ، ثم فى محاربة التجربة الاشتراكية العربية التى يعتبر نجاحها خطرا كبيرا يهدد استراتيجيتهما البعيدة الرامية الى السيطرة الشاملة على العالم .

ولئن كان يبدو من المعسكرين فى هذه الفترة ، عدم عداء سافر

لدول الحياد الإيجابي وعدم الانحياز ، فإن ذلك لا يعنى مطلقا تغيراً في نواياهما واستراتيجيتهما . . . إنما يعنى تغيراً في أسلوب معالجتهما والتكتيك الذى يتبعانه فقط .

كان الاستعمار ، كما كان يردد دالاس المشهور بدفع العالم الى حافة الهاوية ، لا ينفك عن ترديد القول ؟ « من ليس معنا فهو ضدنا » . ودول الحياد الإيجابي هى المقصودة بذلك لان العالم بعد الحرب العالمية الثانية أصبح عبارة عن دول منحازة ومرتبطة بالمواثيق والاحلاف العسكرية مع إحدى الدولتين السكبريين فى العالم ، أمريكا والاتحاد السوفيتى ، ومثل هذه الدول فى عرف الكتلتين أما دول صديقة أو دول معادية . . . أو عبارة عن دول غير منحازة ترفض التنازل عن ارادتها ، وهذه الدول هى التى كان يعنىها دالاس . . . وقد بقيت عبارة دالاس هى الدستور المقدس للاستعمار الغربى فى علاقاته بدول الحياد ، وقد ترتب على ذلك ان أنواعا من الحروب الدعائية والتفيسية والاقتصادية ، بل والحروب المسلحة تعرضت لها هذه الدول . ولكن تطور الأحداث العالمية وظهور الاتحاد السوفيتى منافسا قويا لمعونات أمريكا والغرب جعلت الكتلة الغربية تغير تكتيكها فى معالجة أزماتها مع الدول المحايدة ، وقد تطلب هذا التغير قبول الأمر الواقع مع العمل السرى المتواصل لقلبه .

وكانت لشيوعية الدولية أيام ستالين تعتبر الحياد الإيجابي خطرا يهدد زحفها الذى كان فى أوائل الخمسينيات فى أعلى مراحلها كان ستالين يضع دول الحياد فى صف الدول المعادية للاتحاد السوفيتى والشيوعية ، ولذلك فإنه كان لا ينفك عن ترديد العبارات المقلدة ضد زعماء الحياد فى العالم . ومنيت سياسة الاتحاد السوفيتى وقتئذ بنسب هذا الموقف العدائى للدول حديثة الاستقلال التى تعمل على صيانة استقلالها وحمايته بفشل ذريع . ثم مات ستالين ، وكان لا بد للوجوه الجديدة التى استقرت فى الكرملين ان تبحث عن أسباب الفشل الذى كانت تعانيه الشيوعية الدولية ، فوجدت أن العداء السافر للدول حديثة الاستقلال لعدم ارتمائها فى أحضان الشيوعية أهم أسباب الأزمة والفشل ، لذلك كانت المعالجة عبارة عن تغيير فى التكتيك اقتضى تقديم معونات مالية واقتصادية وفنية لهذه الدول تكسب بها صداقتها وتعمل

يواسطتها على ابعادها أكثر وأكثر عن الغرب على أمل أن يستقر بها المطاف في النهاية لقمة سائفة سهلة الهضم . . . ومضت سنوات دون أن يحقق تكتيك الاستعمار أى نجاح . . . كذلك لم تحقق الشيوعية أى نصر في الدول المحايدة . . بل على العكس من ذلك حققت دول الحياد المزيد من الانتصارات ، ولعل الجمهورية العربية المتحدة وليدة الثورة بممارستها العملية للحياد وتعرضها أكثر من غيرها لضغط وتآمر السكتلتين وصمودها في وجهتهما وانتصارها بإرادتها عليهما تحملت عبء معركة الحياد فساهمت بذلك . . . بالانتصارات التي حققتها في هذه المعركة في جعل عدم الانحياز هدفا تسعى إليه كل دولة ترفع راية استقلالها وتحرص على بقاء هذه الرؤية تحقق بحرية .

لقد تعرضت مصر الثورة ثم الجمهورية العربية المتحدة وليدة الثورة ، بحكم أهمية موقعها الاستراتيجي وتأثيرها في الأحداث التي تجري في المسائل العربي وقارتي آسيا وأفريقيا إلى أقصى ضغط شهدته دولة في التاريخ الحديث . . . كان الهدف من الضغط الذي وصل إلى حد العدوان المسلح هو تحطيم حيادها ، لأن بهذا التحطيم - وهو لم يحصل - تكون الثورة قد تحطمت إذ تنعدم إرادتها وتشل حركتها وقدرتها على العمل .

كان العالم العربي كله قبل الثورة خاضعا لسيطرة الاستعمار . اللهم غير سنوريا التي كانت منصرفة إلى حماية استقلالها ومنازعاتها الحزبية ، معنى ذلك أن العالم العربي كان تابعا للغرب مجردا من الإرادة ، بقى الحال كذلك إلى أن تفجرت الثورة عام ١٩٥٢ وكان تفجيرها يعنى تحرير مصر وخروجها من نطاق التبعية وفتح ثغرة كبيرة في استراتيجية الغرب أخذت تتسع شيئا فشيئا مع الأيام حتى غدت أكبر خطر يواجهه الاستعمار الغربي في تاريخ وجوده وأعظم تحد يواجهه منذ نجاح الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ .

وبدل الاستعمار الغربي كل جهد مادي ومعنوي قسدر عليه لإعادة مصر إلى حظيرته من حديد مدفوعا إلى ذلك من أجل حماية وجوده ومصالحه في البلاد العربية وقارتي أفريقيا وآسيا . . . لم تكن التجربة الاشتراكية العربية قد وضحت معالمها بعد ، ولذلك فأنه كان يعتبر التمرد السنيامي عليه وقتل بالتحرر من نطاق

جاذبيته ونفوذه واتباع سياسة مستقلة حيادية تهديدا كبيرا ومباشرا له . اخذ يحس بأن الشعوب العربية بدأت تتحضر للثورة على الحكام العملاء وعلى التبعية المطلقة للغرب ، متمثلة بما حققته ثورة مصر ، هادفة الى سلوك طريقها والالتقاء معها والالتفاف حولها للمشاركة الفعلية في حمايتها ، واخذ يلتمس كذلك بأن الشعوب الافريقية والاسيوية والدول حديثة الاستقلال ، صارت تعتبر تحرر مصر وسياستها الحيادية المنبثقة من ارادة الشعب العربي المتلائمة مع ظروفه واحتياجاته منارا كبيرا يضيء لها السبيل ويشجعها على الانطلاق نحوه ، وفي ذلك كما يرى الاستعمار خسائر تصيب مصالحه وتعرض وجوده للخطر الاكيد ، وفضح لاسلوبه الجديد في معالجة قضايا الشعوب واستقلالها الذي ابتكره ليتلاءم مع تطور الاحداث وانتفاضات الشعوب المستعمرة وفلسفة الاسلوب الاستعماري الجديد ، أن يخدع الشعوب برأيات استقلال زائفة يحميها العملاء والاحتكاريون والانتهازيون ، يبقى من خلالها صاحب النفوذ والسلطة في المجالين السياسي عن طريق الحكام العملاء والاقتصادي عن طريق أعوانه الاحتكاريين ، ولقد شهدت الاقطار العربية ، واقطار اخرى في العالم الكثير من هذه الرايات تخفق في السماء ، ولكن القيمة الكبرى لم تكن في رفع هذه الرايات انما في جعل هذه الرايات رمزا للاستقلال الحقيقي ، وهذا ما لم يعرفه العرب والكثير من شعوب افريقيا وآسيا قبل ثورة ٢٣ يوليو

بعد الثورة اكتشفت شعوب كثيرة ، منها الشعب العربي ، قدرتها على جعل سياستها وعلاقتها بالدول العالمية تابعة من ارادتها واكتشفت كذلك أن مثل هذه السياسة تفجر الطاقات الثورية وتدفع الشعب الى العمل البناء المثمر وممارسة وجوده في بناء مجتمعه وحماية انتصاراته . لذلك فان هذه الشعوب بدأت مرحلة جديدة في تاريخها هي مرحلة اكتشاف الذات والارادة والقدرة على جعل الاستقلال استقلالا حقيقيا بالتحرر من نطاق الجاذبية والدوران في فلك الدول الكبيرة ذات الاستراتيجية البعيدة والمطامع الاستعمارية التي لا حد لها ، وقد ايقن الاستعمار بأن الثورة العربية هي السبب في تحطيم مشاريعه كلها ولذلك بادى الى محاولة حصر تيارها وضرب سياستها الحيادية ولكنه فشل في ذلك بسبب التفاعل الذي تم بين الشعوب وبين هذه الثورة من

جهة ، ثم بسبب الموقع الجغرافي الذي يتيح لمصر الاتصال بأفريقيا وآسيا بشكل خاص من جهة أخرى ، فتهافت قلاعه وأصبحت الممارسة الفعلية للاستقلال الحديث تتمثل في اتباع سياسة الحياد الإيجابي التي يعنى اتباعها تقلص النفوذ الاستعماري وارتداده إلى الوراء وتحطيم استراتيجيته التي بناها على أساس أن قارة أفريقيا وجنوب شرق آسيا في العالم القديم وقارة أمريكا اللاتينية في العالم الجديد هي « أقمار » تدور بختمية الجاذبية حوله .

ولم يشأ الاستعمار وهو يرى « الأقمار » تتحرر من نطاق جاذبيته أن يستسلم للأمر الواقع . انطلق نحو القاهرة ، مشعل الحربة ، بجيوشه وأساطيله الجوية والبحرية يبغى تدميرها لعله بذلك يدمر قدرتها ، وسبق ذلك سلسلة لم تنقطع من الهجمات بأسلحة مختلفة كالحصار الاقتصادي وحرب الإذاعات والدعايات ، ومحاولة التجويع وتدمير المؤامرات . . فشلت كلها فشلا ذريعا وبقيت القاهرة ، مشعل الحربة ، صامدة بإرادة قائدها وشعبها العربي لم تنحرف رغم حدة الهجمات الاستعمارية خطوة واحدة عن طريق سيرها ، طريق الحياد الإيجابي والتعايش السلمي ومد يد الصداقة النظيفة إلى جميع شعوب الأرض . . لم تنحرف نحو الكتلة الشيوعية تطلب الحماية في وقت كانت القوة المصادية تحيط بها من كل جانب ، تمنع عنها الخبز اللازم للشعب والدواء الضروري لحماية الشعب من فتك الأمراض وتبعث إليها بالموت قوافل متلاحقة .

وتوقعت الشيوعية الدولية أن ترتدى مصر الثورة ، من شدة الدفع الاستعماري لها وتأمرة عليها في أحضانها أو على الأقل تطلب حمايتها فيتحقق لها بذلك حلم كبير يراود أجفانها منذ أول نصر عملي حققته عام ١٩١٧ ، إذ أصبح لها موطئ قدم تطل منه على أفريقيا وجنوب شرق آسيا والعالم العربي الفنى بالبتروول ، عدا عن أهمية ذلك في جعل سلسلة القواعد العسكرية التي بناها الغرب حزاما حول الاتحاد السوفييتي معقل الشيوعية الدولية لا قيمة جربية لها .

لقد بنت الشيوعية الدولية سياستها الحديثة بعد موت ستالين على محاولة كسب الأصدقاء بالمعونات ثم تطوير الصداقة إلى

حماية ان أمكنها ذلك ، ولكن أملها الكبير الذى كانت تبنيه على هذه الصداقة أو هذه المعونات ثمن الصداقة ، هو أن تكسب حرية العمل والنشاط السياسى للحزب الشيوعى الذى يمكن بالعون الذى يتلقاه فيما بعد أن يقدر على تحقيق الثورة العمالية التى تصبح حلقة جديدة من حلقات الشيوعية الدولية . ولكن هذه السياسة وهذه الآمال لم نحرز أى نجاح فى مصر الثورة ثم فى الجمهورية العربية المتحدة بعد الوحدة بسبب التناقض الحتمى بين القومية العربية والشيوعية الدولية فلسفة وإرادة وأسلوباً وحرص الثورة وقيادتها على ممارسة الاستقلال ممارسة فعلية تتحقق بالحياد الإيجابى فقط .

وعلى الرغم من محاولات الشيوعية الدولية تحقيق أى مكسب سياسى من وراء معوناتها إلا أن الجمهورية العربية المتحدة بقيادتها الثورية حرصت بشدة متناهية وبحساسية دقيقة على أن تبقى علاقتها بالاتحاد السوفيتى وشعوبه على أساس الصداقة النظيفة مع التقدير التام للمعونات الاقتصادية التى تقدمها لبناء السد العالى وإقامة أنواع من الصناعات والمشاريع الهامة فى تطوير المجتمع العربى والانتقال به الى ميدان الصناعة الثقيلة ، ومع ذلك فإن المحاولات لم تنته . ولكنها مهما تكاثرت فإنها لن تقدر على دفع هذه الجمهورية خطوة واحدة نحو اليمين الذى يمثل الاستعمار الغربى تماماً كما عجز الاستعمار من قبل عن دفعها خطوة واحدة نحو الشيوعية .

بهذا الصمود البطولى قدمت الجمهورية العربية المتحدة بقيادة رئيسها عبد الناصر لشعوب الأرض كلها ، والشعوب حديثة الاستقلال بشكل خاص ، تجربة جديدة مارسوها بالإرادة والتصميم حولت فيها الشعار الكبير ، والصيحة المدوية ، إلى عمل كبير ومبادئ خلقية ، وجعلت القاهرة كعبة لرواد الحرية ، وقاعدة كبرى تنطلق منها تيارات قوية تهدم قلاع الاستعمار وتوقف زحف الشيوعية ، وإرادة تعمل بكل الامكانيات والطاقات لان تخلق من عدم الانحياز جبهة بشرية تفصل بين المعسكرين وتمنع الاحتكاك بينهما وتمنع بذلك حتمية الحرب الدرية .

ولقد استفادت شعوب كثيرة من هذه التجربة السياسية فأقدمت عليها تمارس بها إرادتها ووجودها وتحمي بها مكاسبها وانتصاراتها ، وتؤكد بها انعدام التناقض بين الحكومة والشعب لتنعم البلاد في الاستقرار سياسي لا تعرفه الدول المنحازة . . ثم ضدت هذه التجربة كما غدت التجربة الاشتراكية ، هدفا كبيرا للدول حديثة الاستقلال تسعى الى بلوغه لتتطمئن على انتصاراتها وسياساتها القومية . مما يؤكد هذا السعي أن كل دولة ترتفع في سمائها راية الاستقلال وتتولى الحكم فيها قيادة غير عميلة ولا انتهازية تبدأ في ممارسة استقلالها الحديث باتباع سياسة الحياد الإيجابي ومثل هذه الدول تبلغ اليوم أكثر من عشرين دولة معظمها دول استقلت بعد مؤتمر باندونج .

أن الحياد الإيجابي وعدم الانحياز والتعايش السلمي كانت شعارات تلتف حولها الجماهير في العالم حولتها القيادة الثورية العربية بالكفاح والتجربة الى مبادئ سياسية ثابتة عميقة الجذور تأخذ بها اليوم شعوب كثيرة في العالم ، ولقد تهيأت لهذه القيادة الثورية بفعل تجربتها ومواقفها البطولية وإرادتها التي لا تلين ولا تتأثر بضغط الدول الكبرى ، مهمة قيادية دولية تمارسها بمسؤولية واعية فتسير في طليعة الدول حديثة الاستقلال تشق طريق السلام للبشرية كلها وترفع راية النضال لتؤكد بذلك عزمها على مواصلة الوقوف الى جانب كل شعب يناضل من أجل تحرره .

بذلك ، بالصمود البطولي ، والمهمة القيادية ، والرسالة الانسانية ، قدمت الثورة الى العالم خلال تسعة أعوام فقط تعرضت خلالها الى أقسى أنواع التآمر والضغط والحروب تجربتين عميلتين ، الاولى تجربة الحياد الإيجابي ، والثانية التجربة الاشتراكية التعاونية الديمقراطية . . وغير هاتين التجربتين حققت انتصارات قومية انتزعت بها زمام المبادرة من الصهيونية العالمية والاستعمار والشيوعية الدولية على السواء فأصبحت تمسك بيديها مصير كل قضية عربية ومصير الوجود العربي ، وتقف في الصف الاول بين الدول الكبرى تقلل من فرص التصادم بينها وتساهم في أبعاد شبح الحرب وانقاذ البشرية والحضارة من خطر الفناء والاندثار .

ان الامة العربية مصيرا ووجودا مرتبطة بهذه الثورة ، فهي ثورة وجودها ، وهي رسالتها الانسانية ، لولاها لما كان عبد الناصر الرمز الكبير للامة العربية وشعوب افريقيا والكثير من شعوب العالم المناضلة من أجل تحريرها . . ولولاها بإرادة عبد الناصر لما ارتفع العرب في صراعهم مع الصهيونية العالمية الى مستوى معركة المصير والحياة ، ولما هزموا الاستعمار وأوقفوا زحف الشيوعية الدولية على ديارهم . . .

لولا هذه الثورة تبقى العرب كمية مهمة تدور بالارادة في فلك الاستعمار الغربي ، ولحققت الصهيونية العالمية الكثير من أهدافها . . . لكن العرب اليوم في حال لا يعرف حلقة ظلامه أحد . . . بقيت الحرية والوحدة والاشتراكية شعارات حائرة ترددها جماهير خائرة

اخترنا لك

تقدم عبدًا خاصًا
بمناسبة عيد الثورة

٩ سنوات بحياة
التي

الشمس ١٠ قروش

مطابع

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

ت ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥

كتب ثقافية

تقدم يوم الخميس القادم

٢٠ يوليو سنة ١٩٦١

مولد بنو عروسة

وقصص أخرى

بقلم

أحمد عارل

الكتاب ١٢١
الشمس ٤ قروش

صدر يوم الثلاثاء ١٨ يوليو (تموز) سنة ١٩٦١

الدار القومية للطباعة والنشر
شركة ذات مسئولية محدودة

١٥٧ ش عبيد - روض الفرج

ت ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥